حاشية

مقدمة التفسير

بقلم

الفقير إلى الله

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الحنبلي النجدي

وفقه الله تعالى

الطبعة الأولى

السعر

١ قرش – ١٠٠ مليم

المطبعة الهاشمية بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسبحان الله رب العرش عما يصفون . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق المأمون . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين الذين هم بهديه متمسكون . وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد فحيث أن كتاب الله وبيانه أهم مايهتم به . فهذه حاشية على المقدمة في تفسيره توضح المقاصد وتعين مريد معرفة معانيه كأصول يتوصل بها إلى المراد منه . على ما كان عليه السلف الصالح . والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى للمتقين (٢)

---

(١) ابتدأ بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز . وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته وعملاً بحديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » أي ناقص البركة . والاسم مشتق من السمو والله أعرف المعارف الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وهو مشتق أي دال على صفة له تعالى وهي الإلهية ومعناه ذو الالوهية والعبودية على خلقه أجمعين . والرحمن رحمة عامة لجميع المخلوقات والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين . اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة .

(٢) الحمد ثناء والألف واللام لاستغراق جميع المحامد . وقال الشيخ الحمد ذكر محاسن المحمود مع حبه واجلاله وتعظيمه وثنى بالحمد لة بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم وبالنبي الكريم وعملاً بحديث « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » وإنزال القرآن على محمد ﷺ لا يمتري فيه مسلم قال تعالى : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » نزل به الروح الأمين على قلبك » إلى غير ذلك من الآيات وتواترت به السنة وأجمع عليه المسلمون . وسماه تعالى كتاباً لجمعه العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه . وجعله تبياناً لكل شيء . بين فيه علم كل شيء من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس اليه محتاجون في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم قال تعالى : « أنزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء » . —

وأشهد أن لا إله الا الله الملك الحق المبين (١) وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الامين (٢)

ـ فقد اشتمل على ما يجري في العالم وقال ﷺ : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمنه من جميع فنون العلوم . فلاإله إلا الله ماذا حرمه المعرضون عنه من العلم والهدى . وجعله تعالى هدى للمتقين قال تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ويطلق الهدى ويراد به ما يقر في القلوب من الإيمان ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه .

(١) أشهد أي أقطع وأجزم أن لا معبود حق الا الله وحده لا شريك له . وحده حال من الاسم الشريف تأكيد للاثبات . ولا شريك له تأكيد للنفي تأكيد بعد تأكيد اهتماماً بمقام التوحيد . الملك حقيقة كما قال تعالى « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » وقال صلى الله عليه وسلم « لا مالك الا الله » الحق قال تعالى « ذلكم الله ربكم الحق » فهو سبحانه الحق المبين وقوله الحق وكتابه الحق له الملك لا اله الا هو العزيز الحكيم .

(٢) أي وأجزم أن محمداً وهو أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم اسم مفعول من حمد . فهو محمد اذ كان كثير الخصال التي يحمد عليها فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر . عبده أشرف اسم له ايضا فانه لاأشرف ولا أتم للمؤمن من وصفة بالعبودية لله تعالى . ورسوله أي مرسله وسفيره باداء شريعته الصادق فيما يبلغه عن الله تعالى قال تعالى « والذي جاء بالصدق » الامين على وحيه وكان ﷺ يسمى الامين قبل بعثته وايده الله بالآيات والدلالات الواضحات القاطعات بصدقه .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين (١) وسلم تسليما كثيرا (٢) أما بعد فهذه مقدمة في التفسير (٣) تعين على فهم القرآن العظيم (٤)

---

(١) الصلاة من الله عليه ﷺ هو الثناء والعناية به واظهار شرفه وفضله . وعلى آله أهل بيته . وقيل اتباعه . واصحابه جمع صاحب وهم من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً ومات على ذلك . والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

(٢) سلم من السلامة بمعنى التحية او الامان او السلامة من النقائص . طلب السلامة له من الله او أسم الله عليه اذ كان اسم الله يذكر على الاعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه . وتسليما مصدر مؤكد . كثيرا دائما ابدا . والصلاة والسلام عليه ﷺ مستحبة كل وقت وتتأكد عند ذكر اسمه ﷺ وآله واصحابه والتابعون لهم تبع في ذلك .

(٣) أما بعد كلمة يؤتى بها للانتقال من اسلوب الى غيره ويستحب الاتيان بها في الخطب والمكاتبات اقتداء به ﷺ . وهي مبنية على الضم لقطعها عن الاضافة مع نية المضاف اليه اي بعد ذكر الله والثناء عليه والشهادتين والصلاة على رسول الله ﷺ وآله واصحابه واتباعه . فهذه إشارة إلى ما تصور في الذهن واقيم مقام المكتوب الموجود . مقدمة وهي من الكتاب فصل يعقد في اوله ومن كل شيء اوله او ما يتوقف عليه الشيء توقفاً عقلياً او عاديا اوجعلياً . وهذه نبذة مختصرة في اول التفسير الذي هو الكشف والايضاح والتبيين والتأويل للقرآن العظيم .

(٤) تعين اي تساعد على فهم أي تصور وادراك معاني القرآن ، اسم علم لكتاب الله قيل سمي به الكتاب المقروء وقيل لجمعه ثمرات الكتب السابقة او لجمعه انواع العلوم او السور . ووصف بالعظيم والذكر الحكيم والصراط المستقيم وغير ذلك —

الجدير بان تصرف له الهمم ففيه الهدى والنور (١)

ومن أخذ به هدي إلى صراط مستقيم (٢)

— مما يدل على شرفه . ولا ريب ان كل كلام المقصود منه فهم معانيه لا مجرد الفاظه والقرآن اولى بذلك وقد ندب تعالى الى ذلك فقال « ليدبروا آياته افلا يتدبرون القرآن » وتدبره بدون فهم معانيه محال والعادة تمنع ان يقرأ قوم كتابا في فن من العلم ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم .

(١) اي فالقرآن العظيم هو الجدير اي الخليق بان تصرف له الهمم جمع همة يقال هممت بالشيء اذا اردته بل وتثنى عليه الخناصر ويستمسك به ويعتصم به . ففيه الهدى والنور والشفاء لما في الصدور . قال تعالى « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » وقال « هدى للمتقين هدى لقوم يوقنون نورا نهدي به من نشاء من عبادنا » وتكفل الله لمن اتبعه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

(٢) أي ومن أخذ بكتاب الله واعتصم به ودعا إليه هدي إلى صراط مستقيم قال تعالى : « فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى » وفي صحيح مسلم « أني تارك فيكم ثقلين أولها كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » وللترمذي وغيره « ستكون فتن قيل فما المخرج منها قال « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي إلى صراط مستقيم » .

تنزيل القرآن (٢)

اجمعوا على أن القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق (٣)

سمعه جبرئيل من الله (١)

---

(٢) أي بيان أن القرآن كلام الله نزل من الله . سمعه منه جبرئيل . وسمعه محمد من جبرئيل عليهما الصلاة والسلام .

(٣) أي أجمع أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم على أن القرآن كلام الله حقيقة . قال تعالى : « فاجره حتى يسمع كلام الله » وغير ذلك وقال شيخ الإسلام وغيره أجمعوا على أن القرآن كلام الله منزل من الله . كما قال تعالى « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » فأخبر أنهم يعلمون ذلك والعلم لا يكون إلا حقاً . فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيراً منه من هذا الوجه وقال تعالى : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » « تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » « تنزيل من الرحمن الرحيم » ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه جل وعلا . وهو غير مخلوق باجماع المسلمين . ومن قال كلام الله مخلوق فهو كافر . قال واشتهر عن السلف تكفير من قال القرآن مخلوق وأنه يستتاب فان تاب وإلا قتل .

(١) جل وعلا . قال شيخ الإسلام كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة . قال تعالى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق » فاخبر سبحانه أنه نزله روح القدس وهو الروح الأمين . كما قال تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله الأمين دليل على أنه مؤتمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص . وهذا بيان لنزول جبرئيل به من الله . فانه إذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أن يكون نزله من —

وسمعه محمد من جبرئيل (١)

— الله فلا يكون شيء منه نزل من عين من الأعيان المخلوقة . ولا نزل من نفسه . وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم أنه سمعه من الله ولم يؤلفه هو . وهذا بيان من الله أن القرآن الذي هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله . ولم يقل أحد من السلف أنه سمعه محمد من الله . ولو كان جبرئيل لم يسمعه من الله وإنما وجده مكتوباً كانت العبارة عبارة جبرئيل وكان القرآن كلام جبرئيل ترجم به عن الله كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاماً ولم يقدر أن يتكلم به . وهذا خلاف دين المسلمين .

(١) عليهما السلام قال تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله » وقال « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه » أي قرأه رسولنا « فاتبع قرآنه » فاستمع له وانصت « ثم أن علينا بيانه » أن نبينه بلسانك وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبرئيل استمع فاذا انطلق جبرئيل قرأه كما قرأه جبرئيل . وهو كقوله « نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق » وقوله « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » ونحو ذلك فانه تعالى أضافه تارة إلى رسول من البشر وتارة إلى رسول من الملائكة فقال « إنه لقول رسول كريم » إلى قوله « تنزيل من رب العالمين » والرسول هنا محمد ﷺ وقال « إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » إلى قوله « إن هو إلا ذكر للعالمين » فالرسول هنا جبرئيل وأضافه سبحانه إلى كل منهما باسم رسوله لأن ذلك يدل على أنه مبلغ له عن غيره وانه رسول فيه لم يحدث هو شيئاً منه . قال الشيخ ولم يقل احد من السلف ان جبرئيل احدث الفاظه ولا محمداً ﷺ ولا ان الله تعالى خلقه في الهوى اوغيره من المخلوقات . ولا ان جبرئيل اخذه من اللوح المحفوظ بل هذه الاقوال هي من اقوال بعض الملحدين من الفلاسفة وغيرهم

وسمعه الصحابة من محمد ﷺ (١) وهو الذي نتلوه بالسنتنا (٢) وفيما بين الدفتين (٣) وما في صدورنا (٤) مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً (٥)

(١) ولا نزاع في ذلك . وقال الشيخ هذا مذهب سلف الامة وأئمتها والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والاجماع . وكانوا يقولون هذا عهده الينا ونحن عهدناه اليكم وفي السنن انه ﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالمواسم فيقول « الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي » وفي الصحيح « بلغوا عني ولو آية » وقال « ليبلغ الشاهد الغائب » .

(٢) اي والقرآن العزيز هو الذي نتلوه بالسنتنا . ولا يخرج بذلك عن كونه كلام الله حقيقة . فانه اذا اريد بالتلاوة الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو

(٣) اي القرآن الكريم هو ما بين ضامتي المصحف ولا يخرج بذلك عن ان يكون كلام الله حقيقة . قال الشيخ ما يكتب في المصاحف من كلامه فهو كلامه مكتوباً في المصاحف وكلامه غير مخلوق . والمداد الذي يكتب به كلامه وغير كلامه مخلوق وقد فرق تعالى بين كلامه وبين مداد كلماته فقال « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي » .

(٤) اي والقرآن العظيم هو ما في صدورنا حفظناه عن ظهر قلب ولا يخرج بذلك عن ان يكون كلام الله حقيقة

(٥) اي والقرآن الكريم كلام الله حقيقة مسموعاً حال تلاوتنا له ومكتوباً فيما بين الدفتين . قال الشيخ واذا كتب في المصاحف كان ما كتب من كلام رب العالمين غير مخلوق وان كان المداد وشكله مخلوقاً . وايضاً فاذا قرأ الناس كلام الله فالكلام في نفسه غير مخلوق اذا كان الله تكلم به . فان الكلام كلام من قاله مبتدئاً امراً يأمر به او خبراً يخبره ليس هو كلامه المبلغ له عن غيره واذا قرأه المبلغ يقال —

وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق (١)

—هذا كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبلغاً مؤدياً. والقرآن كلام الله محفوظاً في صدورنا . قال احمد القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف قال الشيخ اي حيث كتب وقرىء مما هو في نفس الامر كلام الله فهو كلامه . وكلام غيره مخلوق. وما كان من صفات العباد وافعالهم التي يقرؤون ويكتبون بها كلامه كاصواتهم و مدادهم فهو مخلوق . ولهذا من لم يهتد الى هذا الفرق يحار فانه معلوم ان القرآن واحد ويقرؤه خلق كثير والقرآن لا يكثر في نفسه بكثرة قراءة القراء . وانما يكثر ما يقرؤون به القرآن فما يكثر ويحدث في العباد فهو مخلوق . والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذي تكلم الله به وسمعه جبرئيل من الله وسمعه محمد من جبرئيل وبلغه محمد ﷺ الى الناس وانذر به الامم قرآن واحد . وهو كلام الله ليس بمخلوق . قال ابو حامد الاسفيرايني مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق . ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل مسموعاً من الله والنبي ﷺ سمعه من جبرئيل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه نحن بالسنتنا وفيما بين الدفتين . وما في صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً . وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والناس اجمعين

(١) اي وكل حرف من القرآن الذي هو لفظه قبل ان ينزل به جبرئيل وبعد ما نزل به كالباء والتاء الى آخر حروف الهجاء الثمانية والعشرين كلام الله غير مخلوق ولم يقل احد من السلف انه مخلوق . وانما قال الجعد بن درهم وورد السلف هذا القول . قال الشيخ كما تواترت الآثار عنهم بذلك وصنف في ذلك مصنفات متعددة قال ومن قال انه مخلوق فقد خالف اجماع السلف ومن قال انه —

منه بدا واليه يعود (١) وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف (٢)

—مخلوق يقول انه خلق في بعض المخلوقات القائمة بنفسها فمن ذلك المخلوق نزل وبدأ لا من الله واخباره تعالى انه نزل من الله يناقض ان يكون قد نزل من غير الله .

(١) اي هو تعالى الذي تكلم به لم يبتدأ من غيره ومنه نزل كما قال تعالى « تنزيل الكتاب من الله » وقال بعضهم منه خرج قال الشيخ وليس مقصود السلف انه منه خرج ومنه بدأ انه فارق ذاته وحل في غيره فان الصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره وانما قالوا ذلك رداً على المعتزلة والجهمية الذين يقولون بدا من المخلوق الذي خلق فيه . وكيف يجوز ان يفارق ذات الله كلامه او غيره من صفاته واليه يعود اي علمه فلا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في الصدور منه آية . قال عمرو بن دينار ادركت مشائخنا والناس منذ سبعين سنة وقال مرة ادركت اصحاب النبي ﷺ فمن دونهم يقولون القرآن كلام الله منه بدا واليه يعود وفي الاثر ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية .

(٢) ذكره الشيخ وغيره في عقائد السلف وقال الذي عليه السلف ان القرآن كلام الله تكلم الله بحروفه ومعانيه ليس شيئاً منه كلاما لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما بل كفر الله من جعله قول البشر . فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه والنبي ﷺ اذا تكلم بكلامه تكلم بحروفه ومعانيه بصوته ثم المبلغ عنه يبلغ كلامه بحركاته وصوته والمبلغ عنه مبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالقرآن هو كلام الله تكلم الله به بصوته والمبلغ عن الله مبلغ كلام الله بصوت نفسه كما ان كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ عنه بلغ بصوت نفسه وقال ﷺ زينوا القرآن باصواتكم فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذي يقرؤه العبد —

وبدعوا من قال انه فاض على نفس النبي من العقل الفعال او غيره كالفلاسفة والصابئية (١)

— صوت القاري واصوات العباد ليست هي الصوت الذي يتكلم الله به ولا مثله فان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فليس كلامه مثل كلامهم ولا اصواته مثل اصواتهم ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقاً ان يكون كلام الله مخلوقاً .

(١) اي وبدع السلف من الصحابة والتابعين من قال ان القرآن فاض على نفس النبي محمد ﷺ من العقل الفعال او غير العقل الفعال فان المتفلسفة كابن سينا واضرابه والصابئة وهم قوم يشبه دينهم دين النصارى زعموا ان كلام الله ليس له وجود الا في نفوس الانبياء تفاض عليهم المعاني من الروح الذي هو العقل الفعال او غير ذلك . قال الشيخ وهذا القول اعظم كفرا وضلالا من قول الجهمية وغيرهم وقال تنازع الناس في كلام الله نزاعا كثيرا والطوائف الكبار نحو ست فرق فابعدها عن الاسلام قول من يقول من المتفلسفة والصابئة ان كلام الله انما يفيض على النفوس اما من العقل الفعال واما من غيره وليس بكلام الله في الحقيقة وانما هذا في الحقيقة كلام النبي وانما سمي كلام الله مجازاً قال ورأوا ان الرسول سمى القرآن كلام الله فقالوا هذا القرآن كلام الله ولكن المعنى أنه فاض على نفس النبي من العقل الفعال . وربما قالوا أن العقل هو جبرئيل قال وقد ضل بكلام ابن سينا واضرابه كثير من المشهورين مثل أبي حامد ذكر هذا المعنى في بعض كتبه وصنفوا رسائل أخوان الصفا وغيرها وجمعوا فيها على زعمهم بين مقالات الصابئة المتأخرين التي هي الفلسفة المبتدعة وبين ما جاء به الرسول ﷺ عن الله فأتوا بما زعموا أنه معقول ولا دليل على كثير منه وبما ذكروا أنه منقول وفيه من —

أو أنه مخلوق في جسم من الأجسام كالمعتزلة والجهمية (١)

— الكذب والتحريف أمر عظيم وإنما يضلون به كثيراً بما فيه من الأمور الطبيعية والرياضية التي لا تعلق لها بأمر النبوات والرسالات لا بنفي ولا باثبات ولكن ينتفع بها في مصالح الدنيا كالصناعة والحياكة والبناية والخياطة ونحو ذلك .

(١) أي وبدع السلف من قال أن كلام الله مخلوق خلقه الله في جسم من الأجسام المخلوقة فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله . قال الشيخ كما هو قول الجهمية الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم والسلف يسمون كل من نفى الصفات وقال أن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة جهمياً فان جهماً أول من ظهرت عنه تلك البدعة وانتشرت في خلافة هشام بن عبد الملك وان كان جعد سبقه إلى بعض ذلك في أوائل المائة الثانية . وهؤلاء هم الذين دعوا من دعوه من الخلق إلى مقالتهم حتى امتحن الناس في القرآن بالمحنة المشهورة في إمارة المأمون ورفع الله شأن من ثبت فيها أمام أهل السنة أحمد بن حنبل وموافقيه وكشفها الله عن الناس في امارة المتوكل . وقال أول من أظهر إنكار التكليم الجعد وأمر علماء الإسلام كالحسن البصري وغيره بقتله . وأخذعنه الجهم بن صفوان فأنكر أن يكون الله يتكلم ثم نافق المسلمين فأقر بلفظ الكلام وقال كلامه يخلق في محل كالهواء وورق الشجر . وقال الجهمية والمعتزلة هم الذين يقولون كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة وبالجملة فقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الجهمية من أشر طوائف أهل البدع حتى أخرجهم كثير من السلف من الثنتين والسبعين فرقة قال وهم أول من عارض الوحي بالرأي .

أو في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما كالكلابية والأشعرية (١)

---

(١) فانهم يقولون ان القرآن العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته . والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى كما نقله الشيخ وغيره . وقال عنه اما ان يكون خاق في بعض الاجسام الهوائية او غيره او الهمه جبرئيل فعبر عنه بالقرآن العربي والهمه محمد ﷺ فعبر عنه بالقرآن العربي او يكون اخذه جبرئيل من اللوح المحفوظ او غيره فهذه الاقوال التي تقال تفريع على هذا القول يعني بخلق القرآن . وقوله منزل من ربك بالحق وامثاله يعلم منه ان القرآن العربي نزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح المحفوظ ولا من جسم آخر ولا من جبرئيل ولا محمد ولا غيرهما قال وهذا لاينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله «انا انزلناه في ليلة القدر» انه انزل الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم انزل بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث ولاينافي انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» وقوله « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون » وقوله «كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمه» وقال«انه في ام الكتاب» وكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بايدي الملائكة لا ينافي ان يكون جبرئيل نزل به من الله سواء كتبه قبل ان يرسل به جبرئيل او غير ذلك واذا كان قد انزله مكتوباً الى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ماكان وما يكون ان لو كان كيف كان يكون . ثم ذكر مقادير الخلائق وكتب اعمالهم قبل ان يعملوها ثم قال ومن قال ان جبرئيل اخذ القرآن عن الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه . وذكر الآيات الدالة على انه منزل من الله لا من غيره وان الرسول مأمور بتبليغ ما انزل اليه من ربه وذكر ان ابن كلاب وموافقيه وصفوا الله بالكلام —

أو انه حروف وأصوات قديمة أزلية كالكلامية (١) أو أنه حادث قائم بذات الله ممتنع في الأزل كالهاشمية والكرامية (٢)

— في الازل لم يجعلوه قادراً على الكلام ولامتكلماً بمشيئته وان الحقائق المتنوعة شيء واحد وذلك معلوم الفساد بالضرورة . وذكر هو وابن القيم عن الكلابية ومن اتبعهم كالقلانسي والأشعري أن كلام الله معنى قائم بذات الله هو الأمر بكل مأمور أمر الله به والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً أو بالعبرية كان توراة أو بالسريانية كان انجيلا والأمر والنهي والخبر ليست أنواعاً له وإنما كلها صفات له إضافية .

(١) من السالمية وغيرهم من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم . قال الشيخ يقولون أن كلام الله حروف وأصوات قديمة أزلية وأنها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم وهم يوافقون الأشعرية والكلابية في أن تكليم الله ليس إلا مجرد إدراك للمتكلم ليس هو أمراً منفصلا عن المستمع . وأيضاً قد وافقت ابن كلاب أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته وقالت بل الكلام القديم هو حروف أو حروف وأصوات لازمة لذات الرب أزلا وأبدا لا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا يتكلم بها شيئاً بعد شيء وهذا أيضاً معلوم الفساد بالضرورة . ومنهم من يزعم أن ذلك القديم هو ما يسمع من العباد من الأصوات بالقرآن وهو أظهر فساداً مما قبله .

(٢) أي وبدع السلف قول من قال أن القرآن حادث قائم بذات الله بعد أن لم يكن متكلماً بكلام بل ما زال عندهم قادراً على الكلام وهو عندهم لم يزل متكلماً بمعنى أنه قادر على الكلام وإلا فوجود الكلام عندهم في الأزل ممتنع كوجود الأفعال عندهم وعند من وافقهم من أهل الكلام كالمعتزلة وأتباعهم وهم يقولون أنه حروف وأصوات حادثة بذات الرب بقدرته ومشيئته ولا يقولون أن الأصوات —

ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فجهمي أو غير مخلوق فمبتدع (١)

— المسموعة والمداد الذي في المصحف قديم بل يقولون أن ذلك محدث كما قال الشيخ . وقال أيضاً عنهم . لكنه لم يمكنه أن يتكلم بمشيئته في الأزل لامتناع حوادث لا أول لها وهؤلاء جعلوا الرب في الأزل غير قادر على الكلام بمشيئته ولا على الفعل . وذكر ابن القيم مذهب الاتحادية وأنهم يقولون كل كلام في الوجود كلام الله بناء على أصلهم الفاسد أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود . وذكر المذاهب المتقدم ذكرها ثم قال والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل . والعجب أنها دائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها قال الشيخ وكان قد كثر ظهور هؤلاء في أول المائة الثانية والثالثة في إمارة المأمون بسبب تعريب كتب الروم المشركين الصابئين الذين كانوا قبل النصارى ومن أشبههم من فارس والهند وظهرت هذه المقالة في أهل العلم والكلام وفي أهل السيف والإمارة وصار في أهلها من الخلفاء والأمراء والولاة والقضاة والفقهاء ما امتحنوا به المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الذين اتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم ولم يبدلوا ولم يبتدعوا وذلك لقصور وتفريط من أكثرهم في معرفة حقيقة ما جاء به الرسول ﷺ وأتباعه وإلا فلو كان كثيراً فيهم لم يتمكن أولئك المبتدعة لما يخالف دين الإسلام من التمكن منهم . وقال ولهذا وافقهم في بعض ما ابتدعوه كثير من أهل الفقه والحديث والتصوف وذكر ابن القيم أنه لما ابتلي الناس بأهل البدع وقام سوقها أقام الله لدينه شيخ الإسلام فغزاهم مدة حياته باليد والقلب واللسان وكشف للناس باطلهم وبين تلبيسهم وتدليسهم وقابلهم بصريح المعقول وصحيح المنقول وأشفى واشتفى فجزاه الله أحسن الجزاء .

(١) قال الإمام أحمد وغيره وأن القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله —

— على الحقيقة وحيث تصرف كلام الله فهو غير مخلوق وقال الشيخ أنكر الأئمة قول من قال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق وقالوا من قال مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع وكذلك قالوا في التلاوة والقراءة لأن اللفظ والتلاوة والقراءة يراد بها المصدر الذي هو فعل العبد وأفعال العباد مخلوقة فمن جعل شيئاً من أفعالهم وأصواتهم وغير ذلك من صفاتهم غير مخلوق فهو مبتدع ويراد باللفظ نفس الكلام الملفوظ كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام وهو القرآن نفسه ولا ريب أن من حدث عن النبي ﷺ بحديث إذا سمعوه قالوا هذا كلام النبي . لأنهم قد علموا أنه تكلم بذلك الكلام لفظه ومعناه وتكلم به بصوته ثم المبلغ له عنه بلغه بصوت نفسه فمن قال إن هذا القرآن العزيز المسموع ليس هو كلام الله أو هو كلام القارئين كان فساد قوله معلوماً بالضرورة شرعاً وعقلا كما أن من قال هذا الصوت المسموع ليس هو صوت العبد أو هو صوت الله كان فساد قوله معلوماً بالضرورة شرعاً وعقلا . وليس لأحد من الوسائط فيه إلا التبليغ بأفعاله لم يحدث أحد منهم شيئاً من حروفه ولا نظمه ولا معانيه . وذكر ابن القيم أن المنع من أحمد في النفي والاثبات من كمال علمه باللغة والسنة وتحقيقه لهذا الباب . والذي قصده أن اللفظ يراد به أمران أحدهما الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولا فعل له والثاني التلفظ به والأداء له وفعله فاطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ واطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني وهو خطأ فمنع الاطلاقين وذكر هو وشيخ الإسلام اضطراب الناس في كلام الله ثم قال وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغتفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول ﷺ فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر . ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص —

مواضع نزوله (١)

اجمعوا على أن القرآن مائة وأربع عشرة سورة (٢)

— مذنب ثم قد يكون فاسقاً وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطىء ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافراً بل ولا فاسقاً بل ولا عاصياً لا سيما في مثل مسألة الكلام وقد غلط فيها خلق من أئمة الطوائف المعروفين عند الناس بالعلم والدين وغالبهم يقصد وجهاً من الحق فيتبعه ويعزب عنه وجه آخر لا يحققه فيبقى عارفاً بعض الحق جاهلا بعضه بل منكراً له ومن هنا نشأ نزاعهم .

(١) أي ذكر مواضع نزول القرآن من الله عز وجل على محمد ﷺ وأوقاته ومعرفة علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وغيرهما من أشرف علوم القرآن . ومن فوائده العلم بالمتأخر إن كان ناسخاً أو مخصصاً أو غير ذلك .

(٢) أي أجمع أصحاب النبي ﷺ في زمن عثمان على ترتيب سور القرآن في المصحف مائة وأربع عشرة سورة وقيل الأنفال وبراءة سورة وشبهة من قال ذلك أنها لم تكتب بينهما البسملة ويرده تسمية النبي ﷺ لهما وكان في مصحف ابن مسعود مائة واثنتي عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين وفي مصحف أبي ست عشرة سورة لأنه كتب في آخره سورتي اللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد واستقر الأمر على مائة وأربع عشرة سورة . والسورة قيل من الابانة والارتفاع وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلد وقيل لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه وقيل من الجمع والاحاطة لآياتها .

والمشهور سبع وعشرون مدني (١) وباقيه مكي واستثني آيات (٢)

---

(١) ورد عن ابن عباس وقتادة وأبي بن كعب وغيرهم أنه نزل في المدينة سبع وعشرون سورة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم إلى رأس العشر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله . وسائر السور بمكة وروي غير ذلك قال القاضي وغيره المرجع في معرفة المكي من المدني لحفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وان وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تأريخ لناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان بن مسعود وغيره يقول ما نزلت آية من كتاب الله إلا ونحن نعلم فيمن نزلت وأين نزلت

(٢) أي وباقي القرآن العزيز سوى السبع والعشرين سورة على ما تقدم نزل بمكة ويدخل في ذلك ما نزل بضواحيها وكذا المدينة . وورد عن ابن عباس وغيره ذكر ما نزل بمكة وما استثني من الآيات مما نزل بمكة وقيل والمدنية فروى ابو حاتم وغيره عن مجاهدان سال ابن عباس عن ذلك فقال سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة قل تعالوا اتل الى تمام الآيات الثلاث. وسورة النحل سوى ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة منصرفه من احد. والحج سوى ثلاث آيات هذان خصمان الى تمام الثلاث نزلت بالمدينة . وسورة الشعراء سوى والشعراء الى آخرها ولقمان سوى ثلاث من ولو انمافي الأرض والزمر سوى ثلاث من ياعبادي الذين اسرفوا والتغابن الا آيات من آخرها والمزمل الا آيتين ان —

ومنه النهاري والليلي والصيفي والشتائي (٢)

— ربك يعلم وعدا المدنيات كما تقدم وباقيه مكي وروي عن قتادة وعكرمة والحسن وغيرهم نحوذلك وقيل غير ذلك. وذكر ابن كثير وغيره تفصيل المدني والمكي وما استثني. والآية من العلامة على انقطاع الكلام عن الذي قبلها وعن الذي بعدها وانفصالها وقيل لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه وقيل لانها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها. وعدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف قيل ومئتان واربع عشرة وقيل غير ذلك.

(٢) اي ومن القرآن ما نزل على رسول الله صلى عليه وسلم بالنهار وهو اكثر القرآن ومنه ما نزل بالليل قيل منه آية تحويل القبلة قال ابن عمر انزل عليه الليلة قرآن وقد امر أن يستقبل القبلة. ومنه و اخر آل عمران فروى ابن حبان وغيره من حديث عائشة انه قال انزل علي هذه الليلة ان في خلق السموات والأرض الآيات. ومنه والله يعصمك من الناس. وآية الثلاثة الذين خلفوا. وقيل وسورة الانعام ومريم وغير ذلك ومنه ما هو بالليل والنهار كآية التيمم ومنه ما نزل بالصيف كآية الكلالة وفي الشتاء كالتي في اول السورة والآيات النازلة في غزوة تبوك في شدة الحر ومنهم من يقول ائذن لي وآيات الذين جاؤا بالأفك نزلت في يوم شات وليلة الأحزاب اذكروا نعمة الله عليكم حتى قال شيخ الاسلام سورة الحج فيها مكي ومدني وليلي ونهاري وسفري وحضري وشتائي وصيفي. وقال ابن العربي من القرآن ما نزل سمائيا وارضياً وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار يعني سورة المرسلات ولمسلم انتهى الى سدرة المنتهى وفيه فاعطي خواتيم سورة البقرة.

واول ما انزل اقرأ ثم المدثر (١) وآخره المائدة وبراءة والفتح وآية الكلالة والربا والدين (٢)

---

(١) اي واول ما انزل من القرآن على رسول الله ﷺ صدر سورة اقرأ يوم الاثنين بلا خلاف ففي الصحيحين من حديث عائشة قالت اول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة قالت حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ بسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم. وللحاكم وغيره عنها اول سورة نزلت من القرآن اقرأ بسم ربك الذي خلق. وروي نحوه عن ابي موسى وغيره. ثم انزل عليه صدر سورة يا ايها المدثر بعد فترة الوحي ولما جاءه الملك فرق منه فقال دثروني فانزل الله يا ايها المدثر ثم حمي الوحي وتتابع ويدل على ذلك ما في الصحيحين من حديث جابر بينما انا امشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فرجعت فقلت زملوني فدثروني فانزل الله يا ايها المدثر ولان نزولها بعد سبب التدثر

(٢) اي وآخر ما نزل من القرآن سورة المائدة قاله عبد الله بن عمرو حسنه الترمذي. وللنسائي وغيره عن عائشة اما انها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه صححه الحاكم. وفي الصحيح عن البراء آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة واولها نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج فاردف بها علياً ولمسلم عن ابن عباس آخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وفي الصحيح عنه آخر ما نزل على رسول الله ﷺ آية الربا ورواه احمد عن عمر وروي عن ابن عباس من طرق ان آخر آية نزلت واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله وقال ابن —

انزاله (١)

انزل القرآن جملة في ليلة القدر الى بيت العزة في السماء الدنيا (٢) وانزل منجما بحسب الوقائع (٣)

جريج عاش بعدها تسع ليال ولعل الآيات نزلت دفعة واحدة وكل اخبر بما بلغه ويستفتونك آخر ما يتعلق بالمواريث . وقيل ومنه لقد جاءكم رسول من انفسكم الآيتين وقيل اليوم اكملت لكم دينكم فالله اعلم .

(١) اي انزال القرآن العظيم من الله تعالى على رسوله ﷺ وصفة ما يصيبه عن ذلك وكتابته وجمعه

(٢) اي انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقال انا انزلناه في ليلة مباركة ولا نزاع في ذلك. وحكي الاجماع على انه انزل جملة واحدة الى بيت العزة في السماء الدنيا كما قاله ابن عباس وغيره . وتقدم انه لاينافي كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

(٣) اي وانزل القرآن من الله تعالى نزل به جبرئيل على رسول الله ﷺ منجماً اي مفرقاً يتلو بعضه بعضا بحسب الوقائع قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا قال ابن عباس وغيره انزل القرآن في ليلة القدر الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم انزل بعد ذلك وقرأ الآية. وقال تعالى وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . وتقدم قول الشيخ أن كون جبرئيل نزل به من الله على محمد ﷺ كما قال تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك لا ينافي كونه تعالى كتبه قبل أن يرسل به ولا كونه قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة وأنه —

يلقيه جبرائيل الى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليه (١) ويأتيه في مثل صورة الرجل يكلمه (٢)

— تعالى كتب أعمال الخلائق قبل أن يعملوها . ومن قال إن جبرئيل أخذه عن الكتاب لم يسمعه من الله فقوله باطل مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وفي الصحيح إذا تكلم الله بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبرئيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد وكلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول قال الحق وهو العلي الكبير وغير ذلك من الأحاديث .

(١) اي اشد كيفيات تلقي الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبرئيل ان يأتيه الملك به في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال اسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة يوحي الي الا ظننت ان نفسي تقبض. وفيه انه اشد حالات الوحي عليه صلى الله عليه. وسلم وقال ابن عباس كان ﷺ يعالج من الوحي شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله ان علينا جمعه نجمعه لك في صدرك وقرآنه أي تقرؤه فإذا قرأناه أي قرأه جبرئيل فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه .

(٢) أي ويأتيه جبرئيل بالوحي أحياناً في مثل صورة الرجل فيكلمه جبرئيل به وفي الصحيح وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما يقول زاد أبو عوانة وهو أهونه علي . وأحياناً ينفث في روعه نفثاً كما رواه الحاكم وغيره أن روح القدس نفث في روعي .

وثبت انه انزل على سبعة احرف [(١)] قيل المعاني المتفقة بالفاظ مختلفة كهلم واقبل [(٢)] وكتب في الرقاع وغيرها في عهد النبوة [(٣)]

---

١ أي وثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أن القرآن أنزل على سبعة أحرف من حديث أنس وأبي وحذيفة وغيرهم أكثر من عشرين صحابياً قال ابو عبيدة وغيره تواتر عن رسول الله ﷺ ان القرآن انزل على سبعة احرف ومر عمر بهشام بن حكيم وهو يقرأ سورة الفرقان فانطلق به الى رسول الله ﷺ فقال سمعته يقرؤها على حروف لم تقرئنيها فقال له اقرأها ثم قال لعمر اقرأها وقال لكل واحد منهما هكذا انزلت ثم قال ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه قال الشيخ ولا نزاع بين العلماء المعتبرين ان الاحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ ان القرآن انزل عليها ليست هي قراءات السبعة او تمام العشرة او غير ذلك قول السلف انها حرف من الاحرف السبعة وليست هي مجموعها وقيل مجموع الاحرف السبعة وهم مجمعون على ان الاحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضا خلافاً يتضاد فيه المعنى .

(٢) وقال كما قاله ابن مسعود ولا تتضمن تناقض المعنى قال الشيخ بلا نزاع وقد يكون معنى احدها ليس هو معنى الآخر لكن كلا المعنيين حق وهذا اختلاف تنوع وتغاير كما في الحديث انز القرآن على سبعة احرف ان قلت غفوراً رحيما او قلت عزيزاً حكيما فانه كذلك ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب او آية عذب بآية رحمة وكما في القراءات المشهورة كلتزول ولتزول وعجبت وعجبت ويخدعون ويخادعون .

(٣) أي وكتب القرآن العظيم في الرقاع جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد. وكتب في غير الرقاع كاللخاف والعسب والقتب والاظلاع وصدور —

ثم في الصحف في عهد ابي بكر [(١)]

—الرجال وغير ذلك قال زيد بن ثابت قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء . قال الخطابي إنما لم يجمع النبي ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء لراشدين لذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة .

(١) اي ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جمع القرآن العظيم في الصحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه ففي الصحيح ان زيد بن ثابت قال ارسل إلي ابو بكر مقتل اهل اليمامة فاذا عمر عنده فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر في اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وأني ارى ان تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدر ابي بكر لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال ابو بكر انك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن اجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال قال فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر وجاء نحوه من غيروجه وقال علي اعظم الناس في المصاحف اجرا ابو بكر رحمة الله على ابي بكر هو اول من جمع كتاب الله وكان زيد بن ثابت لا يكتب آية الا بشاهدي عدل مع وجدانه مكتوباً وحفظه له . مبالغة في الأحتياط وقال البغوي يقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة

ثم جمع عثمان الناس على مصحف واحد (١)

— الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي وكتبها لرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وكان يقرىء الناس بها حتى مات ولذلك اعتمده ابوبكر وعمر بجمعه . وولاه عثمان كتب المصاحف ووقعت الثقة لكونهم يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ولا ريب أنهم كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة. وكذا قال غير واحد القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم.

(١) أي ثم لما كثر اختلاف القراء في وجوه القراءة وخشيت الفتنة جمع عثمان ابن عفان رضي الله عنه الناس في خلافته على مصحف واحد وأجمع الصحابة عليه وترك ما سواه . ففي الصحيح أن حذيفة قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في وجوه القراءة فقال لعثمان أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال الحافظ وكان ذلك في سنة خمس وعشرين قال علي إنما فعل ذلك في المصاحف على ملء منا وذلك أنه بلغ عثمان أن بعضهم يقول أن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفراً قلنا فما ترى —

والجمهور أنه مشتمل على ما يحتمله رسمها (١) ومتضمنها العرضة الأخيرة (٢)

— قال أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا فنعم ما رأيت . وروي عن انس أنه قال اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان فقال عندي تكذبون وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً فاجتمعوا فكتبوا فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤا في آية قالوا هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلاناً فيرسل إليه فيقال له كيف أقرأك فيقول كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً قال ابن سيرين إنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم بالعرضة الأخيرة فيكتبون على قوله .

(١) أي ومذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف على أن مصحف عثمان مشتمل على ما يحتمله رسم سبعة الأحرف وذكر ابن جرير أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجماعاً شائعاً وهم معصومون من الضلالة .

(٢) أي ومذهب الجمهور أن الأحرف السبعة التي قال فيها ﷺ أنزل القرآن على سبعة أحرف متضمنتها العرضة الأخيرة التي عارضه جبرئيل بها النبي ﷺ وقال الشيخ هذا مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف وسائر أئمة المسلمين، فانه ثبت في الصحاح أنه كان يعارضه في كل عام مرة وفي العام الذي قبض فيه عارضه مرتين والآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره وهي التي أمر الخلفاء الراشدون بكتابتها في المصاحف وجمع عثمان عليها الناس باتفاق من الصحابة وقال القاضي عياض قد —

وترتيب الآيات بالنص والسور بالاجتهاد (١)

— أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع الأقطار المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين ما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس كلام الله ووحيه المنزل على رسوله محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو أبدله بحرف آخر مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع وأجمع عليه أنه ليس بقرآن عامداً لكل هذا فهو كافر .

(١) اي وترتيب الآيات القرآنية بالنص اجماعا حكاه غير واحد وجزموا بانه واقع بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم وامره من غير خلاف بين المسلمين ودات السنة على ذلك فانه قد ثبت من قراءته سورا في صلواته وثبت من قوله ضعوا هذه الآية في موضع كذا من هذه السورة وقوله في آية الصيف التي في آخر سورة النساء وخواتيم سورة البقرة وعشر آيات من اول سورة الكهف ومن آخرها وغير ذلك مما يدل على ان ترتيب الآيات عنه صلى الله عليه وسلم توقيفي وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على خلافه. وقال القاضي ترتيب الآيات امر واجب وحكم لازم والذي نذهب اليه ان جميع القرآن الذي انزله الله وامر باثبات رسمه ولم ينسخ ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان وانه لم ينقص منه شيء ولازيد فيه وان ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من آي السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر مقدم وان الامة ضبطت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة وكذا قال البغوي وغيره وأنه ثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا —

اسباب نزوله (١)

معرفة سبب نزول القرآن يعين على فهم الآية (٢)

— الترتيب وانه حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب عن تلاوته صلى الله عليه وسلم ومما اجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف فان عثمان امرهم ان يتابعوا الطوال فجعلت الأنفال والتوبة فيها ولم يفصل بينهما بالبسملة ولما قيل له قال كانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها ولم يبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال ولا يمتنع ان يكون بعض السور توقيفياً علم ترتيبه في حياته ﷺ

(١) اي ذكر اسباب نزول القرآن المعين على الوقوف على المعنى المتعين على المفسر معرفته

(٢) قال ابن دقيق بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال الواحدي لا يمكن معرفة تفسير الآية بدون الوقوف على قصة او بيان نزولها وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وذلك ان العلم بسبب نزول الآية هو الطريق الى العلم بالمسبب من ذلك قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما اتوا قال مروان لئن كان امرؤ فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس نزلت في اهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه اياه واخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك اليه ومنه قصة عثمان بن مظعون وعمرو بن عدي في استدلالهما على حل الخمر بقوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية ولان نزولها في اناس قالوا لما حرمت الخمر كيف بمن قتلوا في سبيل الله وكانوا يشربونها وهي رجس

فقد يكون اللفظ عاماً والسبب خاص (١) ومنه ان ارتبتم (٢) فاينما تولوا فثم وجه الله (٣) .

عام وخاص (٤)

(١) فاذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته لان صورة السبب قطعي واخراجها بالاجتهاد حكى القاضي وغيره الاجماع على منعه. وقال الشيخ والآية التى لها سبب معين ان كانت امراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته لم يقصدوا ان حكم الآية مختص به دون غيره فان هذا لا يقوله مسلم عاقل على الاطلاق ولم يقل احد من علماء المسلمين ان عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وانما غاية ما يقال انها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ وقولهم نزلت هذه الاية في كذا يراد به تارة انه سبب النزول ويراد به تارة ان هذا داخل في الاية وان لم يكن السبب كما يقال عنى بهذه الآية كذا وقول احدهم نزلت في كذا لا ينافي قول الآخر نزلت في كذا اذا كان اللفظ يتناولها

(٢) اي ومن اللفظ العام وسببه خاص قوله تعالى ان ارتبتم فان من الناس من قال الآيسة لاعدة عليها اذا لم ترتب ووضح ذلك سبب النزول وهو انه لما نزلت الآية في سورة البقرة في عدد النساء قالوا قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن الصغار والكبار فنزلت هذه الآية وعلم انها خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة وارتاب هل عليهن عدة او لا فمعنى إن ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن

(٣) اي ومن ذلك قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله فان ظاهر اللفظ يقتضي ان المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة حضرا ولا سفرا وهو خلاف الاجماع وهي انما نزلت في نافلة السفر او فيمن صلى باجتهاد فبان له الخطا

(٤) اي ذكر عام القرآن وخاصه وما يتعلق بذلك

العام اقسام (١) منه الباقي على عمومه كحرمت عليكم امهاتكم (٢) والعام المراد به الخصوص كالذين قال لهم الناس (٣) والثالث العام

(١) العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر وتدخل النادرة وغير المقصودة تحته مطابقة اثباتاً او سلباً ودلالته على اصل المعنى قطعية وعموم الاشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمنة والبقاع . وكل والذي والتي واي وما ومتى وحيثما ونحوها للعموم . والجمع المعرف باللام والاضافة ما لم يتحقق عهد والنكرة في سياق النفي والنهي والشرط وغير ذلك وينقسم العام الى ثلاثة اقسام

(٢) اي من اقسام العام القسم الباقي على عمومه نحو والله بكل شيء عليم لا يظلم الناس شيئاً الذي خلقكم من تراب ونحو ذلك ومن الاحكام الفرعية حرمت عليكم امهاتكم وهو عزيز اذ ما من عام الا ويتخيل فيه التخصيص فنحو اتقوا ربكم قد يخص منه غير المكلف وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار والسمك والجراد ومن الربا العرايا وغير ذلك

(٣) اي والقسم الثاني من اقسام العام العام المراد به الخصوص وليس عمومه مرادا بل كلي استعمل في جزئي ويصح ان يراد به واحد ولا يراد به شموله لجميع الأفراد بل هو ذو افراد استعمل في فرد منها .مثاله قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .والقائل واحد ويقوي ذلك قوله انما ذلكم الشيطان وقعت الاشارة بقوله ذلكم الى واحد بعينه ومن ذلك قوله ام يحسدون الناس أي رسول الله ﷺ وقوله أفيضوا من حيث افاض الناس وقوله فنادته الملائكة والمراد جبرائيل وغير ذلك .

المخصوص (١) وهو كثير اذ ما من عام الا وقد خص (٢) والمخصص اما متصل وهو خمسة احدها الاستثناء (٣)

---

(١) اي والثالث من اقسام العام المخصوص وهو مراد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها وتناوله للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله لها بلا تخصيص .

(٢) أي والمخصوص من العام أمثلته كثيرة إذ ما من لفظ في القرآن عام الاوقد خص بالقرآن أو بالسنة او بالقياس والمطلق مع المقيد كالعام مع الخاص فمتى وجد دليل على تقييده صير اليه وإلا فلا .

(٣) اي والمخصص قسمان اما متصل بالمخصص منه وإما منفصل والمتصل خمسة اشياء احدها الاستثناء وهو الاخراج بالا أو احدى أخواتها نحو قوله والذين يرمون المحصنات الى قوله إلا الذين تابوا . ونحو والشعراء يتبعهم الغاوون الى قوله إلا الذين آمنوا وقوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما الى الا من تاب. كل شيء هالك الا وجهه. والثاني الوصف نحو وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والثالث الشرط نحو والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا . كتب عليكم إذ احضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية . والرابع الغاية نحو قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية، ولا تقربوهن حتى يطهرن وكلوا واشربوا حتى يتبين الآية . والخامس بدل البعض من الكل نحو ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا .

والمنفصل كآية أخرى (١) أو حديث أو اجماع (٢) ومن خاص القرآن ما كان مخصصاً لعموم السنة كحتى يعطوا الجزية خص أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٣) .

---

(١) أي والقسم الثاني المنفصل من المخصص منه كآية أخرى في محل آخر من القرآن نحو قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء خص بقوله إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة وبقوله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ونحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم خص من الميتة السمك بقوله أحل لكم صيد البحر وطعامه ومن الدم الجامد بقوله أو دماً مسفوحاً وقوله وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً خص بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص بقوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب .

(٢) أي أو خص بحديث نحو قوله تعالى وأحل الله البيع خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة وقوله وحرم الربا خص منه العرايا وآيات المواريث خص منه القاتل والمخالف في الدين وآية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة وآية ثلاثة قروء خص منها الأمة بالسنة وماء طهورا خص منه المتغير بالسنة أو خص باجماع كآية المواريث خص منها الرقيق بالاجماع وخص بالقياس آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب المخصص لعموم الآية المتقدمة .

(٣) وكذا قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى خص عموم نهيه ﷺ عن الصلاة في الأوقات المكروهة باخراج الفرائض وقوله ومن أصوافها وأوبارها —

الناسخ والمنسوخ (١)

يرد الناسخ بمعنى الإزالة (٢) ومنه فينسخ الله مايلقي الشيطان (٣) وبمعنى التبديل (٤)

— الآية خص عموم قوله ما ابين من حي فهو كميتته وقوله والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم خص عموم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي . وقوله فقاتلوا التي تبغي خص عموم قوله إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .

(١) النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله قال غير واحد من الائمة لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن الا بعد أن يعرف منه الناسخ من المنسوخ وقال علي لقاص اتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت والنسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير . وأجمعوا على جوازه ويرد بالقرآن للقرآن وبالسنة للقرآن وقال الشافعي حيث وقع بالسنة فمعها قرآن أو بالقرآن فمعه السنة عاضدة تبين توافق القرآن والسنة .

(٢) تقول العرب نسخت الشمس الظل إذا أزالته .

(٣) قال الشيخ والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه الله قال والقاء الشيطان في أمنيته قد يكون في نفس لفظ المبلغ وقد يكون في سمع المبلغ وقد يكون في فهمه . قال تعالى ثم يحكم الله آياته وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد . وكذلك ما رفع حكمه فان في ذلك جميعه نسخاً لما يلقيه الشيطان في معاني القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فاذا عرفت الناسخ عرفت المحكم .

(٤) وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة إلى أخرى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله ونقل عبارته منه إلى غيره .

وإذا بدلنا آية مكان آية (١) . وهو ثلاثة ما نسخ تلاوته وحكمه كعشر رضعات (٢) او تلاوته دون حكمه كآية الرجم (٣)

(١) أي إذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم أخرى والله أعلم بما ينزل أي والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدله ويغير من أحكامه وقال ما ننسخ من آية أي حكمها فنبدله ونغيره ولا يكون إلا في الأمر والنهي كما يأتي .

(٢) في الصحيحين عن عائشة قالت كان فيما انزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن ولعله قد قارب الوفاة او ان التلاوة نسخت ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله ﷺ فتوفي وبعض الناس يقرؤها وقال ابو موسى نزلت ثم رفعت

(٣) اي ومن القرآن ما نسخ تلاوته دون حكمه كآية الرجم فعن ابي بن كعب ان سورة الاحزاب لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم اذا زنا الشيخ والشيخة فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم . وقال عمر لولا ان يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها . وللحاكم انها لما نزلت قال رسول الله ﷺ اكتبها فكأنه كره ذلك . وفي مصحف عائشة ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الاول . وللحاكم عن ابي ان الله امرني ان اقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا ومن بقيتها لو ان ابن آدم سال واديا من مال فاعطيه سأل ثانياً ولو سأل ثانياً فاعطيه سأل ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره . ولابي عبيد عن ابي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله سيؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال —

او حكمه دون تلاوته (١) وصنفت فيه الكتب وهو قليل (٢)

— لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب . وروى غير ذلك . وفي الصحيحين في قصة اصحاب بئر معونة قال انس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع ان بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا

(١) اي والقسم الثالث ما نسخ حكمه ولم تنسخ تلاوته

(٢) اي وصنفت الكتب الكثيرة فيما نسخ حكمه وبقيت تلاوته وممن صنف في ذلك ابو عبيد وابو داود وابو جعفر النحاس وابن الانباري وابن العربي وابن الجوزي وغيرهم . وهو قليل . وان كان بعضهم اكثر من تعديد الآيات فيه . سوى ما اصطلح عليه بعض السلف فسموا كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم او رفع دلالة ظاهرة . قال ابن القيم مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة اما بتخصيص او تقييد او حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه حتى انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بامر خارج عنه . والا فانما صحح النسخ في نحو بضع عشر آية كما حكاه ابن العربي وغيره منها اذا حضر احدكم الموت بآية المواريث . وعلى الذين يطيقونه فدية قيل بمن شهد منكم الشهر فليصمه يسألونك عن الشهر الحرام . ولا الشهر الحرام بقاتلوا المشركين والذين يتوفون منكم بالآية قبلها . وان تبدوا ما في انفسكم بلا يكلف الله الآية . والذين عقدت ايمانكم باولوا الارحام واللاتي يأتين الفاحشة بآية النور وان جاؤك فاحكم بينهم بان احكم بينهم وان يكن منكم عشرون صابرون بالاية بعدها قم الليل بآخر السورة ثم بالصلوات الخمس وفي بعض ذلك خلاف واما من ادخل في المنسوخ نحو ومما رزقناهم ينفقون بآية الزكاة . واليس الله باحكم الحاكمين وقولوا الناس حسنا بآية السيف —

ولا يقع إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر (١) .

المحكم والمتشابه (٢)

المحكم تميز الحقيقة المقصودة (٣)

— ونحو ذلك فمحكم ليس بمنسوخ وكذا ما هو من قسم المخصوص أو ما كان قبل البعثة إلا ما كان في أول الإسلام وليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله سوى آية العدة ولا تحل لك النساء وقيل وآية الحشر في الفيء والمرجع في النسخ إلى نقل صريح صحيح عن النبي ﷺ أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا وقد يحكم به مع علم التأريخ لتضمنه رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهد النبوة .

(١) أي ولا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ومنه الوعد والوعيد والحظر والاطلاق والمنع والاباحة . ويقع النسخ في الأمر والنهي بلفظ الخبر أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلم يدخله النسخ فان النسخ إنما يكون في التعبدات لأن لله أن يتعبد خلقه بما شاء إلى أي وقت شاء ثم يتعبدهم بغير ذلك . وأما الأخبار بغير معنى الطلب فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ .

(٢) أي بيان المحكم الواضح الدلالة والمتشابه الذي فيه اشتباه على كثير من الناس .

(٣) من غيرها حتى لا تشتبه بغيرها قاله الشيخ وغيره . وعن أحمد المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان . وعن الشافعي المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً . وذكر الشيخ أن الإحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلة ما يلقيه الشيطان فالمحكم المنزل من عند الله احكمه الله أي فصله من الاشتباه بغيره وفصل —

والمتشابه يشبه هذا ويشبه هذا[١] والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليفتنوا به الناس إذا وضعوه على غير مواضعه[٢]

— عنه ما ليس منه فان الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل اتقانه وتارة يكون في ابقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذي هو رفع ما شرع وهو اصطلاحي وتارة يكون الإحكام في التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة. وفسر بما وضح معناه وما كان معقول المعنى وغير ذلك.

(١) قال الشيخ فتكون محتملة لمعنيين وعن أحمد ما احتاج إلى بيان وعن الشافعي ما احتمل من التأويل وجوها وقاله أحمد وغيره. وقال الشيخ المحكم في القرآن يقابل بالمتشابه وبما نسخ كما قال تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وقال فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته فجعل جميع الآيات محكمة محكمها ومتشابهها كما قال تعالى: « الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ».

(٢) أي والذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل قوله تعالى وإلهكم إله واحد إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ويتبعون المتشابه الذي يشبه هذا ويشبه هذا كانا ونحن. فروي أن نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ تأولوها على أن الآلهة ثلاثة لكونها ضمير جمع قال الشيخ ومعلوم أن أنا ونحن من المتشابه فانه يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذي معه أعوانه ولم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار هذا متشابهاً لأن اللفظ —

وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي اخبر عنها كالقيمة واشراطها[١]

— واحد والمعنى متنوع. والأسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه وذكر أن ما تأوله المتفلسفة وغيرهم مما أخبر الله به عما في الآخرة اتباع للمتشابه وابتغاء الفتنة بما يوردونه من الشبهات. وفي الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم وقصة صبيغ مع عمر حين بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن فسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال ما اسمك قال عبد الله صبيغ فقال وأنا عبد الله عمر وضربه الضرب الشديد. وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل في مسألة من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن أصنع بك ما صنع عمر بصبيغ لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام. وقوله ابتغاء الفتنة أي فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد كالذي يعارض بين آيات القرآن. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولأن ذلك يوقع الشك في القلوب.

(١) اي والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما متشابه منه مع ابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلا الله وهو الحقيقة التي اخبر عنها فان الكلام نوعان انشاء فيه الأمر وتأويله هو نفس الفعل المأمور به. والنوع الثاني اخبار فيه ذكر امور القيمة وأشراط الساعة وغير ذلك وتأويله عين الأمر المخبر به إذا وقع وقد جاء اسم التأويل في القرآن في غير موضع. منه قوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه الاية ليس تأويله فهم معناه وانما ذلك مجيء ما اخبر به تعالى من امور القيمة واشراط الساعة كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفا وما في الاخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك.

وما يعلم تأويله وقته ووصفه الا الله (١) والراسخون في العلم يقولون آمنا به (٢) ولم ينف عنهم علم معناه بل قال وليدبروا آياته (٣)

---

(١) اي وما يعلم تلك الحقائق من أحوال القيمة وغيرها إلا الله قال تعالى ان الله عنده علم الساعة . فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الى غير ذلك من الايات الدالة على ان ذلك التأويل لا يعلمه وقتا وقدرا ونوعا وحقيقة الا الله وإنما نحن نعلم بعض صفاته بمبلغ علمنا . قال الشيخ ولم يقل في المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه إلا الله وانما قال وما يعلم تأويله الا الله وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضع فان الله اخبر انه لا يعلم تأويله الا هو والوقف هنا على ما دل عليه ادلة كثيرة وعليه اصحاب رسول الله ﷺ وجمهور التابعين وجماهير الأمة . ومن جعل التأويل بمعنى التفسير فمخطىء قطعاً وانما نشأ في عرف كثير من المتأخرين بصرف اللفظ عن الإحتمال الراجح الى الإحتمال المرجوح قال وهذا الأصطلاح لم يكن يعرف في عهد الصحابة ولا التابعين بل ولا الأئمة الأربعة ولا كان التكلم بهذا التأويل المحدث وهو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله مدلولا عندهم .

(٢) كل من عند ربنا كما قال تعالى والراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك . وقال وليعلم الذين اتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ولابن مردوية من حديث عمرو بن شعيب ان القرآن لم ينزل ليكذب بعض ببعض فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به وللحاكم من حديث ابن مسعود واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا .

(٣) أي ولم ينف عن الراسخين في العلم علم معاني القرآن وتفسيره بل قال —

قال شيخ الاسلام وثبت ان اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات (١)

— كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى لا يتدبر وقال افلا يتدبرون القرآن ولم يستثن شيئا منه نهى عن تدبره بل ذم من لا يتعقله ولا يتفقهه ولا يتدبره فقال ومنهم من يستمعون اليك افأنت تسمع الصم ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه والله ورسوله انما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء تأويله فاما من تدبر المحكم والمتشابه كما امره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله بل امر بذلك ومدح عليه واخبر انه انما انزل القرآن ليعلم ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه ومتشابهه ولم يمتنع احد من الصحابة ولا التابعين عن تفسير آية من كتاب الله وقال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه ولا قال قط احد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين ان في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله ﷺ ولا أهل العلم والايمان جميعهم وانما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لاريب فيه . وذكر ان المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه وأن من قال إن من القرآن كلاما لا يفهم احد معناه ولا يعرف معناه الا الله فانه مخالف لإجماع الامة مع مخالفته للكتاب والسنة .

(١) لما تقدم في الصحيح من حديث عائشة اذ ارأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه وقصة صبيغ وغيرها . وقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله اما ان يكون الضمير عائداً على الكتاب او على المتشابه . فان كان عائداً على الكتاب فيصح ان جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التي فيها اخبار عن الغيب الذي امرنا ان نؤمن به لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتى يقع الا الله . وقد يستدل لهذا ان الله جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره انه مفصل وتقدم . وان كان عائداً الى ما تشابه منه فلان —

ولا اعلم ان احداً من السلف جعلها من المتشابه الداخل في هذه الآية[(١)]

—المخبر به من الوعد والوعيد ونحوه متشابه قال وما احسن ما يعاد التأويل الى القرآن كله وقال بل كذبوا بما لم يحيطو بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه وبين اتيان تأويله فتبين انه يمكن ان يحيط اهل العلم والايمان بعلمه ولما يأتهم تأويله فان الاحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع المخبر به فظهر ان المتشابه ليس في خصوص الصفات

(١) وقال اما ادخال اسماء الله وصفاته او بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله واعتقاد ان ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من اصحابنا وغيرهم فانهم وان اصابوا في كثير مما يقولون ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين . الاول من قال ان هذا من المتشابه وانه لا يفهم معناه فنقول اما الدليل على ذلك فاني ما اعلم عن احد من سلف الامة ولا من الائمة لا احمد بن حنبل ولا غيره جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى ان يعلم احد معناه وجعلوا اسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذي لا يفهم . ولا قالوا ان الله ينزل كلاماً لا يفهم احد معناه وانما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في احاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه وردوها وابطلوها . ونصوص احمد والأئمة بينة في انهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك . قال والدليل على ان هذا ليس بمتشابه لا يعلم معناه ان نقول لا ريب ان الله سمى نفسه في القرآن باسماء مثل الرحمن والودود والعزيز والجبار والعليم والقدير والرؤوف ونحو ذلك . ووصف نفسه بصفات مثل سورة الاخلاص وآية الكرسي واول الحديد وآخر الحشر وقوله ان الله بكل شيء عليم —

—وعلى كل شيء قدير وانه يحب المتقين ويرضى عن الذين آمنوا واستوى على العرش ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ويبقى وجه ربك ولتصنع على عيني الى امثال ذلك فيقال لمن ادعى في هذا .انه متشابه لا يعلم معناه اتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه ام في البعض . فان قلت هذا في الجميع كان هذا عناداً ظاهراً وجحداً لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل كفر صريح فانا نفهم من قوله ان الله بكل شيء عليم معنى ونفهم من قوله ان الله على كل شيء قدير معنى ليس هو الاول ونفهم من قوله ورحمتي وسعت كل شيء معنى ونفهم من قوله ان الله عزيز ذو انتقام معنى وصبيان المسلمين بل كل عاقل يفهم هذا. قال ومن اقر بفهم بعض معنى هذه الاسماء والصفات دون بعض فما الفرق بين ما اثبته وبين ما نفاه من جهة السمع بان احد النصين دال دلالة قطعية او ظاهرة بخلاف الاخر. او من جهة العقل بان احد المعنيين يجوز او يجب اثباته دون الآخر وكلاهما باطل في اكثر المواضع. قال ونكتة الكلام ان غالب من نفى واثبت شيئاً مما دل عليه الكتاب والسنة لابد ان يثبت الشيء لقيام المقتضي وانتفاء المانع وينفي الشيء لوجود المانع او لعدم المقتضي فيبين له ان المقتضي فيما نفاه قائم كما انه فيما اثبته قائم اما من كل وجه او من وجه يجب به الاثبات . واما المانع فيبين ان المانع الذي يتخيله فيما نفاه من جنس المانع الذي تخيله فيما اثبته وعليه ان يسوي بين الامرين في الاثبات والنفي. قال وما اعلم احداً من الخارجين عن الكتاب والسنة من جميع فرسان الكلام والفلسفة الا ولا بد ان يتناقض فيحيل ما اوجب نظيره ويوجب ما احال نظيره اذ كلامهم من عند غير الله والصواب ما عليه ائمة الهدى وهو ان يوصف الله بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث . ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين اهل العلم والايمان . والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه . ولا يعرض عنها فيكون من باب الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً. ولا يترك تدبر القرآن فيكون من باب —

— الذين لايعلمون الكتاب الا اماني فهذا احد الوجهين وهو منع ان تكون من المتشابه. والوجه الثاني اذا قيل هذه من المتشابه او كان فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن بعض الائمة انه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها فيقال الذي في القرآن انه لايعلم تأويله الا الله اما المتشابه واما الكتاب كله ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما تقدم في القيمة وامور القيمة وهذا الوجه قوي ان ثبت حديث وفد نجران ويؤيده انه قد ثبت ان في القرآن متشابها وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما ان ذلك في مسائل المعاد واولى فان نفي المتشابه بين الله وبين خلقه اعظم من نفي المتشابه بين موعود الجنة وموجود الدنيا وانما نكتة الجواب هو ما تقدم ان نفي علم التأويل ليس نفياً لعلم المعنى وذكر ان الله حظ على تدبره وتفقهه وتعقله والتذكر به والتفكر فيه وانه تعالى لم يستثن من ذلك شيئاً بل نصوص متعددة تصرح بالعموم وان السلف من الصحابة والتابعين وسائر الامة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها ورووا عن رسول الله ﷺ احاديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا اعظم من غيرهم وكذلك الأئمة كانوا اذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك لما سئل عن قوله الرحمن على العرش استوى قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في اهل السنة من ينكره وقد بين ان الاستواء معلوم ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها لا يقال كيف استوى ولم ينف الا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه ولو قيل كيف كلم موسى قلنا التكليم معلوم والكيف غير معلوم . قال ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب اهل السنة قال بعضهم استوى على العرش ارتفع . علا على العرش واما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة

وعندهم قراءتها تفسيرها (١) وتمر كما جاءت دالة على ما فيها من المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها (٢) . وكل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق فانه متشابه لاحتماله معنيين (٣)

---

(١) أي وعند السلف قراءة الآيات الواردة في الأسماء والصفات هي تفسيرها فتعلم الذات المقدسة والصفات المعظمة من حيث الجملة على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته . ويفهم من قراءتها معنى ما دلت عليه وتعتقد حقيقة لا مجازا .

(٢) أي وتمر آيات الأسماء والصفات وتجرى على ظاهرها وتقر كما جاءت في كتاب الله دالة على ما فيها من معاني صفات الكمال ونعوت الجلال . لا تحرف أي لا تبدل ولا تؤل على غير المراد ولا يلحد أي لا يميل أحد عن الاستقامة في معانيها وإذا قال السلف أمروها كما جاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقائق الأسماء والصفات . قال الشيخ وقد جمع أهل العلم من أهل الحديث والفقه والكلام والتصوف آيات الصفات وأحاديثها وتكلموا في إثبات معانيها وتقرير صفات الله التي دلت عليها تلك النصوص لما ابتدعت الجهمية جحد ذلك والتكذيب له . قال وكل من علم ما جاءت به الرسل وما يقوله هؤلاء علم أنهم في غاية المشاقة والمحادة والمحاربة لله ورسله وتأولوا كتاب الله على غير تأويله فحرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في أسماء الله وآياته بحيث حملوها على ما يعلم بالاضطرار أنه خلاف مراد الله ورسوله كما فعل اخوانهم القرامطة والباطنية .

(٣) العام كل لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ويأتي تخصيصه متصلا ومنفصلا وتقييد المطلق كالعام مع الخاص . ومتى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه والتخصيص والتقييد متشابه لاحتماله معنيين فالأول كياأيها الناس اتقوا ربكم قد —

وكذا المجمل وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد (١)

التأويل (٢)

التأويل في القرآن نفس وقوع المخبر به (٣)

— يخص غير المكلف والثاني نحو واشهدوا ذوي عدل منكم واطلق الشهادة في البيوع .

(١) أي وكذا المجمل وهو مالم تتضح دلالته فانه متشابه نحو والليل إذا عسعس فانه موضوع لا قبل وأدبر وكقوله ثلاثة قروء وترغبون أن تنكحوهن ولا تعضلوهن يلقون السمع . ومنه احتمال العطف والتقديم والتأخير وإحكام المتشابه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمراد ومن المجمل ما يقع إحكامه متصلا نحو من الفجر بعد قوله الخيط الأبيض من الخيط الأسود . ومنفصلا في آية أخرى نحو فان طلقهـا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره بعد قوله الطلاق مرتان .

(٢) أي ذكر حكم التأويل في لغة القرآن وعند السلف والمتأخرين من أهل الكلام وغيرهم . قال الشيخ التأويل مصدر أوله يؤوله تأويلا مثل حول تحويلا وعول تعويلا . وأول يؤول تعدية آل يؤول أولا . وقولهم آل يؤول أي عاد إلى كذا ورجع اليه ومنه المآل وهو ما يؤول اليه الشيء . قال فتأويل الكلام ما أوله اليه المتكلم أو ما يؤل اليه الكلام أو ما تأول المتكلم . ومطلقاً نفس المراد بالكلام وفي النهاية من آل الشيء إلى كذا رجع وصار اليه .

(٣) أي التأويل في لغة القرآن هو نفس وقوع المخبر به لا يعلم حقيقته الا الله عز وجل وانما نعلم بعض صفاته بمبلغ علمنا قال تعالى وما يعلم تأويله الا الله فأخبر —

وعند السلف تفسير الكلام وبيان معناه (١)

— تعالى أنه لا يعلم تأويله الا هو جل وعلا . وقد جاء في غير موضع . منه قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذي نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق وذلك مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيمة واشراطها وما فيهـا من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فهذا ونحوه لا يعلم وقته وصفته الا الله عز وجل . قال تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي وكذا قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وغير ذلك فتأويل الأخبار عين المخبر به اذا وقع . وقال الشيخ فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة فاذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها هذا هو لغة القرآن التي نزل بها . وأما تأويل الأمر فهو نفس الفعل المأمور به كما قالت عائشة رضي الله عنها كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن . قال والتأويل في سورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا . والتأويل في الأعراف ويونس تأويل القرآن وفي قصة موسى وصاحبه تأويل الأفعال التي فعلها العالم من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار .

(١) مع انه عندهم مطلقا نفس المراد بالكلام ولهذا كان ابن جرير يقول في تفسيره القول في تأويل قوله تعالى واختلف أهل التأويل في هذه الاية ونحو ذلك . ومراده التفسير وقال ابو عبيد وطائفة هما بمعنى وقال الشيخ التأويل في لفظ السلف له معنيان أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا او مترادفا والمعنى الثاني هو نفس التأويل المراد بالكلام فالأول فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهني واللفظي والرسمي والثاني التأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج.

وعند المتأخرين من المتكلمة والمتفقهة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به [١]. او حمل ظاهر على محتمل مرجوح [٢] وما تأوله القرامطة والباطنية للاخبار والأوامر [٣].

---

(١) قال الشيخ وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف فاذا قال احد منهم هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج الى دليل هذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات إذا صنف بعضهم في إبطال التأويل او ذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول وقال الاخر يجب تأويلها وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة أو يصح للعلماء دون غيرهم الى غير ذلك من المقالات والتنازع. وبسبب الإشتراك في لفظ التأويل بين ما عناه الله في كتابه وبين ما كان يطلقه كثير من السلف وبين اصطلاح كثير من المتأخرين اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته ان ذلك هو المذكور في القرآن.

(٢) أي والتأويل عند المتأخرين من المتكلمة وغيرهم حمل ظاهر من نص على محتمل مرجوح وكذا قاله الشيخ وغيره من الاصحاب والشافعية وغيرهم قال ولا يجوز أن يقال ان هذا اللفظ متأول بمعنى انه مصروف عن الاحتمال الراجح الى المعنى المرجوح.

(٣) أي ومن التأويل الباطل ما تأوله المخالفون للرسل ومنهم القرامطة والباطنية المؤلون للاخبار والأوامر وهو بلامرية من تحريف الكلم عن مواضعه وقال —

والفلاسفة للأخبار عن الله واليوم الآخر [١] والجهمية والمعتزلة وغيرهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر وفي آيات القدر وآيات الصفات هو من تحريف الكلم عن مواضعه [٢]

— مثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الأسماعيلية والنصيرية وأمثالهم ومن وافقهم من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين. وشر هؤلاء القرامطة ومبدأ حدوثهم سنة عشرين ومائتين فانهم يدعون أن للقرآن باطنا يخالف الظاهر فيقولون الصلاة المأمور بها ليست هذه انما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة اسرارنا وجبريل هو العقل الفعال الذي تفيض منه الموجودات وأمثال هذه الأمور وقد دخل في كثير من اقوالهم كثير من المتكلمين والمتصوفين وباطنيتهم يقولون في قوله اذهب الي فرعون انه القلب وممن سلك ذلك صاحب الأنوار وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة بقوى النفس ومنهم من يفسر القرآن بما وافق باطنهم الباطل كقوله «مما خطيئاتهم» هي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم الله وقولهم أن العذاب مشتق من العذوبة وأمثال هذه التأويلات والتفسيرات التي علم كل مؤمن انها مخالفة لما جاءت به الرسل.

(١) أي وما تأوله الفلاسفة للاخبار عن الله كتأويلهم الا حد أنه الذي لا يتميز منه شيء عن شيء واليوم الآخر انه تخييلات للحقائق ونحو ذلك مما هو صرف للآيات عن ظاهرها.

(٢) أي وما تأوله الجهمية والمعتزلة وغيرهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر كزعمهم في بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود الجنة والنار بأنها أمثلة ضربت للعوام ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين وأن الله لم يقدر الأقدار ولم

٤

قال الشيخ وطوائف من السلف أخطؤا في معنى التأويل المنفى وفي الذين أثبتوه [١] .

— يتقدم علمه بها وإنما يعلمها بعد وقوعها وكتأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالنعمة وغير ذلك بما هو من تحريف الكلم عن مواضعه والتحريف هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته واعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر مشترك بينهما وأما تحريف اللفظ فهو العدول عن جهته الى غيرها اما بزيادة أو نقصان أو حركة .

(١) الشيخ هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني العالم الرباني مفتي الأمة بحر العلوم قامع البدع صاحب المصنفات المؤيدة بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وإذا أطلق الشيخ أوشيخ الإسلام فهو المعني رحمه الله . فانه أكبر آيات الله في خلقه أيد الله به كتابه وسنة نبيه وما كان عليه السلف وما ذاك الا لما جمع الله له من العلوم النقلية والعقلية الشرعية والتاريخية والفلسفية ومن الاحاطة بمذاهب أهل الملل والنحل وآراء أهل المذاهب ومقالات الفرق حفظاً وفهماً لم يعهد عن أحد من علماء الأرض قبله ولا بعده ولما أعطي من قوة الحكم في احقاق الحق وابطال الباطل بالبراهين العقلية والنقلية فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء . والخطأ الواقع في معنى التأويل المنفي اعتقادهم أن معنى التأويل في القرآن هو التفسير والمراد به نفس وقوع المخبر به . والخطأ في التأويل الذي أثبتوه كتأويل اليد بالنعمة والاستواء بالاستيلاء ونحو ذلك قال ومعرفة ما جاء به الرسول وما أراده بألفاظ القرآن والحديث هو أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة ثم معرفة ما قاله الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول ﷺ والمعاني المخالفة له .

والتأويل المردود هو صرف الكلم عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره [١] قال ولم يقل أحد من السلف ظاهر هذا غير مراد [٢] ولا قال هذه الآية أو هذا الحديث مصروف عن ظاهره [٣]

(١) وقال ابن القيم المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين مرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه . ولهذا يقولون التأويل على خلاف الأصل والتأويل يحتاج الى دليل وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وابطاله من الجانبين وقد حكى غير واحد اجماع السلف على عدم القول به وقال التأويل شر من التعطيل لتضمنه التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص واساءة الظن بها وانتهاك حرمتها . والتأويل الباطل أنواع منها ما لا يحتمله اللفظ أو لا يدل عليه أو لا يؤلف استعماله فيه . وأهله هم الذين يقولون النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم ذلك ولا دلهم عليها ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها .

(٢) أي لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها ظاهر هذا النص من القرآن أو السنة غير مراد والظاهر في عرف السلف بحيث لا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يلحد في أسماء الله وآياته ولا يفسر القرآن وكذا الحديث بما يخالف تفسير سلف الأمة وأهل السنة بل يجري ذلك على ما اقتضته النصوص وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة .

(٣) حاشاهم عن ذلك ولا قالوا مجاز يصح نفيه بل كلام الله ورسوله حق على حقيقته .

مع أنهم قد قالوا مثل ذلك في آيات الأحكام المصروفة عن عمومها وظواهرها وتكلموا فيما يستشكل مما قد يتوهم أنه متناقض (١) .

نفي المجاز (٢)

---

(١) وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ تناقض ولا اختلاف بل يصدق بعضه بعضاً. قال ابن القيم لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم وكان مراده لا يعلم الا بكلامه انقسم كلامه ثلاثة أقسام أحدها ما هو نص في مراده لا يقبل محتملا غيره والثاني ما هو ظاهر في مراده وان احتمل أن يريد غيره والثالث ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد فهو محتمل محتاج الى بيان فالاول يستحيل دخول التأويل فيه وهذا شأن عامة نصوص القرآن الصريحة في معناها خصوصاً آيات الصفات والتوحيد. والثاني ما هو ظاهر في مراد المتكلم ولكنه يقبل التأويل فهذا ينظر في وروده فان اطرد استعماله على وجه واحد استحال تأويله لان التأويل انما يكون لموضع جاء خارجاً عن نظائره فيؤول حتى يرد إلى نظائره والثالث الخطاب بالمجمل الذي أحيل بيانه على خطاب آخر فهذا أيضاً لا يجوز تأويله الا بالخطاب الذي بينه . والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة التأويل أن تكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم فهذا التأويل فيه مجال واسع وليس في كلام الله شيء من المجمل المركبة .

(٢) اي ذكر نفي المجاز الذي لهج به المتأخرون وجعله الملحدون سلما لنفي حقائق الكتاب والسنة قال في القاموس المجاز خلاف الحقيقة وقد صرح الناس قديماً وحديثاً بانه لا يجوز ان يتكلم الله بشيء ويعني به خلاف ظاهره

صرح بنفيه المحققون (١) ولم يحفظ عن احد من الأئمة القول به (٢) وانما حدث تقسيم الكلام الى حقيقة ومجاز بعد القرون المفضلة (٣)

---

(٢) اي صرح بنفي المجاز المحققون من اصحاب الامام احمد وغيرهم كابن حامد وابن وهب وداود بن علي ومنذر بن سعيد وانكر ابو اسحق الاسفرائيني وغيره ان يكون في اللغة مجاز بالكلية وانكره شيخ الاسلام وابن القيم وبينا خطأ من ادعاه . وقال شيخنا من ادعاه في لغة العرب لزمه ان يقوله في كتاب الله والا تناقض لنزوله بلغتهم

(٣) وقال الشيخ لم ينطق به السلف ونفس هذا التقسيم باطل وقال ابن القيم لم يرد الشرع بتقسيم الكلام الى حقيقة ومجاز ولا دل عليه ولا اشار اليه. واهل اللغة لم يصرح احد منهم بان العرب قسمت لغاتها الى حقيقة ومجاز ولا قال احد من العرب قط هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ولا وجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك. ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء وابي عمرو ابن العلاء والاصمعي وامثالهم كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعي التابعين ولا في كلام احد من الأئمة الاربعة

(٤) وقال ابن القيم هو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص وكان منشأوه من المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم من المتكلمين. واشهر ضوابطهم ان الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له اولا والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له اولا . قال وتقسيمهم الالفاظ الى حقيقة ومجاز اما ان يكون عقلياً او شرعياً او لغوياً او اصطلاحياً . والاقسام الثلاثة الأول باطلة فان العقل لا مدخل له في دلالة اللفظ على معناه والشرع لم يرد بهذا التقسيم واهل اللغة لم يصرح احد منهم بان العرب قسمت لغاتها الى حقيقة ومجاز واذا علم ان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز —

فتذرع به المعتزلة والجهمية الى الالحاد في الصفات (١)

— ليس تقسيماً شرعياً ولا عقلياً ولا لغوياً فهو اصطلاح حادث محض غير منضبط ولا مطرد ولا منعكس بل متضمن للتفريق بين المتماثلين من كل وجه

(١) وابطال الحقائق وتعطيل الألفاظ عن دلالتها على المعاني . من ذلك قولهم في قوله تعالى وجاء ربك هو من مجاز اللغة تقديره وجاء أمر ربك . وقولهم في اسمه الرحمن وصفه بالرحمة مجاز لأن الرحمة رقة تعتري القلب . وقولهم في استوائه على العرش أنه بمعنى استولى أو قصد أو مجمل في مجازاته وفي اليدين مجاز في النعمة أو القدرة . وفي الوجه أي يبقى ربك أو ثوابه . وادعوه في العلو والنزول وغير ذلك من صفات الرب جل وعلا وتقدس . وقالوا يمتنع حمله على الحقيقة . حتى زعم ابن جني وغيره من أهل البدع والاعتزال ان أكثر اللغة مجاز وكان هو وشيخه أبو علي الجبائي من كبار أهل البدع المنكرين لكلام الله في زمن قوة شوكة المعتزلة وكانت الدولة دولة رفض واعتزال في عهد عضد الدولة وكان وزيره ابن عباد معتزليا وقاضيه عبد الجبار معتزليا . وتقدم أن أول من ظهر منهم تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز المعتزلة والجهمية . وقد علم بالاضطرار أن الله متكلم حقيقة فكيف يتصور دعوى المجاز في كلامه إلا على أصول الجهمية الذين يقولون كلام الله مخلوق ولم يقم به كلام . وقد أطبق السلف على تضليلهم وتكفيرهم . ومن أقر أن الله تكلم بالقرآن فانه لا يتصور على أصله دخول المجاز في كلام الله بل كلامه تعالى حق على حقيقته . ولو احتمل أن يكون المراد به غير ظاهره انتفى الوثوق به تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً . قال ابن القيم وإذا كان ظاهر كلام الله والأصل فيه الحقيقة لم يجز أن يحمل على مجازه وخلاف ظاهره البتة . وذكر أن القائلين بالمجاز منهم من أسرف فيه وغلا حتى ادعى أن أكثر ألفاظ القرآن بل أكثر اللغة مجاز . واختار هذا جماعة ممن ينتسب الى التحقيق والتدقيق ولا تحقيق ولا تدقيق —

قال الشيخ ولم يتكلم الرب به ولا رسوله ولا اصحابه ولا التابعون لهم باحسان (١) ومن تكلم به من اهل اللغة يقول في بعض الآيات هذا من مجاز اللغة ومراده ان هذا مما يجوز في اللغة (٢) لم يرد هذا التقسيم الحادث (٣) لا سيما وقد قالوا ان المجاز يصح نفيه فكيف يصح حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك (٤) ولا يهولنك اطباق المتأخرين عليه (٥) فانهم قد أطبقوا على ما هو شر منه (٦) .

— وإنما هو خروج عن سواء الطريق ومفارقة للتوفيق .

(١) وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا . وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم ولهذا كان كل ما يذكرونه من الفروق يبين انها فروق باطلة . وكلما ذكر بعض المتأخرين فرقاً ابطله الآخر

(٢) اي يسوغ ويمكن من جاز جوازاً ومجازاً اي هذا غير ممنوع في اللغة

(٣) اي لم يرد هذا التقسيم الذي قسمه المتأخرون الحادث بعد القرون المفضلة .

(٤) اي على جواز نفي الحقائق بل لا يجوز ان تسمى ادلة القرآن ظواهر لفظية ومجازات فان هذه التسمية تسقط حرمتها من القلوب ولا سيما اذا اضافوا الى ذلك تسمية شبه المتكلمين والفلاسفة قواطع عقلية

(٥) الهائل المفزع من الامور اي لا يفزعنك ويعظم عليك اتفاق المتأخرين بعد القرون المفضلة على القول بالمجاز في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

(٦) اي شر من القول بالمجاز فقد اطبق الاكثر على دعاء الانبياء والصالحين وغيرهم مع الله باسم الوسائل واتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله واستباحوا المحرمات وتنقصوا من تمسك بالكتاب والسنة فالله المستعان

وذكر ابن القيم خمسين وجها في بطلان القول بالمجاز (١)

---

(١) ابن القيم هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية العالم الرباني طبق ذكره الخافقين اخذ عن شيخ الإسلام وغيره . وقام هو وشيخه اتم قيام في ازالة البدع وكانا من آيات الله ونعمه العظمى حفظ بها دينه لما اشتدت مناواة الإسلام حتى عظمت بلية مدعية المجاز توفي رحمه الله سنة احدى وخمسين وسبعمائة. قال قدس الله روحه في الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. فصل في كسر الطاغوت الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز هذا الطاغوت لهج به المتأخرون والتجأ اليه المعطلون وجعلوه جنة يتترسون به من سهام الراشقين ويصدون به عن الوحي المبين وذكر خمسين وجها في ابطاله منها انه قول مبتدع وان تقسيم الكلام الى حقيقة ومجاز تقسيم فاسد وتحكم محض ولا يستلزم وجوده. وان دعواه تستلزم وضعا قبل الاستعمال وكلام الله ليس له وضع سابق على الاستعمال فلا تتصور فيه دعوى المجاز وعد منها ما يثلج الصدر وذكر شيئا من فروقهم بين الحقيقة والمجاز ثم قال ولهذا قالت الجهمية المعطلة في الصفات انها مجازات في حق الرب لا حقائق لها. وهذا هو الذي حدانا على تحقيق القول في المجاز فان اربابه ليس لهم فيه ضابط مطرد ولا منعكس وهم متناقضون غاية التناقض خارجون عن اللغة والشرع وحكم العقل الى اصطلاح فاسد . قال وقد صرح غلاتهم بانكار معانيها بالكلية ويقولون هي الفاظ لا معاني لها وقال ايضا وتكون عندهم حقيقة للمخلوق مجاز للخالق وهذا من أبطل الأقوال وأعظمها تعطيلا وقد التزمه معطلوهم فلا يكون عندهم رب العالمين موجودا حقيقة ولا ملكا حقيقة ولا ربا حقيقة وكفى اصحاب هذه المقالة بها كفرا. وهذا القول لازم لكل من ادعى المجاز في شيء من اسماء الرب وأفعاله لزوما لا محيص لهم عنه .

وكلام الله وكلام رسوله منزه عن ذلك (١)

الاعجاز (٢)

المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي (٣) سالم عن المعارضة (٤)
والقرآن معجز ابدا (٥)

---

(١) أي عن المجاز وتقدم انه حق وأن القرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه وأن السلف الصالح مجمعون على ذلك وان من قال خلاف ذلك فمبتدع ضال .

(٢) اي ذكر اعجاز القرآن وهو اعظم معجزات نبينا محمد ﷺ ولا نزاع بين العقلاء ان كتاب الله معجز لم يقدر أحد على معارضته وقال تعالى وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فلولا ان سماعه حجة عليه لم يقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال تعالى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فاخبر تعالى انه كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحيث ثبت كونه معجزة نبينا محمد ﷺ وجب الاهتمام بمعرفة اعجازه .

(٣) أي المعجزة المتحدى بها امر من الأمور المهولة خارق للعادة المألوفة مما يعتاده الإنسان مخالف مقتضاها.

(٤) يعجز البشر أن يأتوا بمثله يقال عارضه بمثل صنيعه واتى اليه بمثل ما اتى وناقض كلامه وقاومه وباراه .

(٥) اي والقرآن العزيز معجزا ابدا الى يوم القيامة وكان اكثر معجزات الانبياء قبل محمد ﷺ حسية انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها من الاعصار ومعجزة هذه الامة عقلية باقية على صفحات الدهر لبقاء هذه الشريعة فلا يمر عصر من الاعصار الا وكتاب الله آية من آيات الله يظهر شيء مما اخبر به انه سيكون يراه —

اعجز الفصحاء مع حرصهم على معارضته [١] وقد تحداهم تعالى على ان يأتوا بحديث مثله او عشر سور او سورة [٢] وذكر العلماء وجوهاً من اعجازه منها اسلوبه وبلاغته [٣]

— اولو البصائر دال على صحته الي يوم القيامة وفي الصحيح ما من نبي الا اعطي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحياً اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا

(١) اي اعجز القرآن الفصحاء على ان يأتوا بمثله مع حرصهم على معارضته واطفاء نوره واخفاء امره ولو كان في مقدرتهم معارضته لصالوا بها قطعاً للحجة ولم ينقل عن احدمنهم انه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا الى العناد والاستهزاء

(٢) اي وقد تحدى تعالى العرب وكانوا افصح الفصحاء ومصاقع الخطباء على ان يأتوا بحديث مثل القرآن كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه كما في قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله . ثم تحداهم بسورة كما قال تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله . فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء والحرص على المعارضة نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

(٣) اي وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى وجوهاً كثيرة من دلائل اعجازه وما بلغوا عشر معشارها منها اسلوبه الغريب المخالف لاساليب كلام العرب مع قوة —

وبيانه وفصاحته [١] وحسن تأليفه [٢] واخباره عن المغيبات [٣]

— فصاحتها ومن دليل اعجازه ايضاً بلاغته الخارقة لعادة العرب الذين هم فرسان الكلام وارباب هذا الشأن. وكل واحد من هذين النوعين الاسلوب الغريب بذاته والبلاغة الخارقة بذاتها نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها اذ كل واحد منها خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وقال بعضهم الايجاز مع البلاغة والايجاز والاطناب من اعظم انواع البلاغة

(١) اي ومن وجوه اعجازه بديعه الباهر وبيانه الظاهر الذي هو في اعلى درجات البيان . وفصاحته التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة واستمرارها فيه من جميع انحائها في جميعه استمراراً ظاهراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه احد من البشر وبذلك قامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة . وقال بعضهم وجه الاعجاز الفصاحة وغرابة الاسلوب والسلامة من جميع العيوب

(٢) اي ومن وجوه اعجازه حسن تأليفه ومخالفته لنظم ما عداه والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم . ونبه تعالى على ان تأليفه ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر فقال تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

(٣) اي ومن وجوه اعجازه ايضاً ما فيه من الاخبار عن المغيبات المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب وما تضمنه ايضاً من قصص الاولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وما تضمنه ايضاً من الاخبار عن الضمائر كقوله اذ همت طائفتان منكم ويقولون في انفسهم وغير ذلك

والروعة في قلوب السامعين وغير ذلك (١) .

---

(١) أي وذكر بعضهم من وجوه إعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والتأثير في نفوسهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته بل لا تستمع كلاماً غير القرآن اذا قرع سمعك خلص الى قلبك من اللذة والحلاوة ما يخلص منه اليه قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وقال تقشعر منه قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله . ومنها كون سامعه لا يمله وكونه لم يزل ولا يزال غضاً طرياً في اسماع السامعين وعلى السنة القارئين ومنها جمعه بين الجزالة والعذوبة وكونه آخر الكتب غنياً عن غيره وذكروا غير ذلك من وجوه اعجازه لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدى به الجن والانس والمعاني الصحيحة الكاملة التي هي من أعظم التحدي عند كثير من العلماء . وذكر الشيخ وغيره أن الحروف المقطعة في أوائل السور انما ذكرت بياناً لاعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها . قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وانما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال ابن كثير ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان اعجازه وعظمته قال الشيخ فالقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه واعجازه يعلم من طريقين اجمالي وتفصيلي أما الاجمالي فهو أنه قد علم بالتواتر أنه ﷺ ادعى النبوة وجاء بهذا القرآن وأن في القرآن آيات التحدي والتعجيز وأخبر أن جميع الانس والجن لو اجتمعوا لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وعلم أنهم كانوا يعارضونه ولم يأتوا بسورة من مثله وذلك يدل على عجزهم عن معارضته لان الارادة الجازمة لا يتخلف —

حتى قال الوليد إن لقوله لحلاوة (١) وإن عليه لطلاوة (٢) ومن تأمل حسنه وبديعه وبيانه ووجوه مخاطباته علم أنه معجز من وجوه كثيرة (٣)

— عنها الفعل مع القدرة وقد علم بالتواتر أنهم أشد الناس حرصاً ورغبة على اقامة حجة يكذبونه بها . قال وأما الطرق فكثيرة جداً متنوعة من وجوه وليس كما يظنه بعض الناس ان معجزته من جهة صرف الدواعي عن معارضته .

(١) أي حتى إن من ظهور اعجازه مع شدة حرص البلغاء على اخفاء أمره ان قال الوليد وكان أحد رؤساء قريش ويسمى ريحانة قريش وكانوا سألوه عما يقول في القرآن قبل أن يفكر ويقدر كما ذكره الله عنه وكان جاء الى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه كما ذكره أهل التفسير وغيرهم فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتي محمدا لتعرض لما عنده فقال قد علمت قريش اني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله ان لقوله الذي يقول لحلاوة والحلو ضد المر الطيب اللذيذ المعجب .

(٢) أي حسن وبهجة وقال انه لمثمر أعلاه أي يجتنيه من هداه الله مغدق أسفله خصب عذب وانه ليعلو ولا يعلى عليه يعني وأن القرآن ليعلو كل كلام ولا يعلى عليه من التركيب المعجز وأنه ليحطم ما تحته وأنه لمن كلام الله .

(٣) اي ومن تامل حسن كلام الله عزوجل وجلاله وفضله ففي الخبران فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وتأمل بديعه وهو انواع كثيرة منها التمثيل والتشبيه والايجاز والاتساع والإشارة وحسن النسق وائتلاف اللفظ مع المعنى —

—والوعد والتخويف وغير ذلك وتأمل بيانه وفصاحته ووضوحه وبلاغته وهي غاية المطلوب اوغاية الممكن من المعاني باتم مايكون من البيان . وتأمل وجوه مخاطباته وقد عدها بعضهم اكثر من ثلاثين وجها منها خطاب العام والمراد به الخصوص وعكسها وخطاب الجنس والنوع والمدح والذم والتعجيز والتهييج والتحنن والتحبب وغير ذلك علم انه معجز من وجوه كثيرة . قال الشيخ وقد جعل بعضهم الوجوه وهو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الآية والنظائر وهي الألفاظ المتواطئة من انواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر . وقال ابن القيم تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله وله الحمد كله ازمة الأمور كلها بيده ومصدرها منه ومواردها اليه مستويا على العرش لاتخفى عليه خافية من أقطار مملكته عالما بما في نفوس عبيده مطلعاً على أسرارهم وعلا نيتهم متفردا بتدبير المملكة يسمع ويرى ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويقدر ويعفي ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة اليه لاتتحرك ذرة الابإذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه . فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه وينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف اليهم باسمائه وصفاته ويتحبب اليهم بنعمه وآلائه ويحذرهم من نقمته ويذكرهم بما اعدلهم من الكرامة إن أطاعوه وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه وكيف كان عاقبة هؤلاء وهؤلاء ويثني على أوليائه بصالح اعمالهم واحسن اوصافهم ويذم اعداءه بسيء أعمالهم وقبيح صفاتهم ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين ويجيب عن شبه اعدائه أحسن الأجوبة ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ويقول الحق ويهدي السبيل ويدعو الى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار —

الامثال (١)

امثال القرآن من اعظم علمه (٢) وعده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته (٣) ضربها الله تذكيرا ووعظا (٤)

— ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ويذكر عباده فقرهم اليه وشدة حاجتهم اليه من كل وجه وانهم لا غناء لهم عنه طرفة عين ويذكرهم غناءه عنهم وعن جميع الموجودات وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وأنه لا ينال احد ذرة من الخير فما فوقها الا بفضله ورحمته ولا ذرة من الشر فما فوقها الا بعدله وحكمته وتشهد من خطابه عتابه أحبابه الطف عتاب وانه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم اعذارهم ومصلح فسادهم والدافع عنهم والحامي عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجي لهم من كل كرب والموفي لهم بوعده وأنه وليهم الذي لا ولي لهم سواه فهو مولاهم الحق وينصرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير وذكر غيره وجوها منها مواضع نزوله والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والأمر والنهي والوعد والوعيد والحدود والأحكام والأعذار والانذار والحجة والاحتجاج والمواعظ والأمثال .

(١) المثل الشبه ومثل الشيء بالشيء وصفه به وسواه وشبهه به .

(٢) أي من اعظم علم القرآن قال الماوردي والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال واغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام .

(٣) وقال ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه .

(٤) مما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على مدح او ذم ونحوه . وقال غير واحد ضرب الله الأمثال في القرآن يستفاد منه امور كثيرة منها التذكير والوعظ —

وهي تصور المعاني بصورة الأشخاص [١]

الإقسام [٢]

القسم تحقيق للخبر وتوكيد له [٣]

— والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس .

(١) لانها اثبت في الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس قال ابراهيم هي تشبيه شيء بشيء في حكمة وتقريب للمعقول من المحسوس او احد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما بالآخر قال تعالى وضربنا لكم الامثال فامتن تعالى علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد فانها تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وتؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نفسه قال تعالى ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون . والامثال كثيرة في كتاب الله وهي اقسام منها ما هو مصرح به كمثل الذي استوقد نارا .او كصيب . انزل من السماء ماء الآية والبلد الطيب يخرج نباته ايود احدكم . والكامنة كما نقل الماوردي انها تخرج منها امثال العرب نحو ليس الخبر كالعيان في نحو ولكن ليطمئن قلبي والجارية مجرى المثل نحو « ليس لها من دون الله كاشفة » « لن تنالوا البر حتى تنفقوا » الآية « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه » وغير ذلك .

(٢) القسم اليمين . واقسم بالله حلف به .

(٣) والله تعالى ذكر القسم في كتابه لكمال الحجة وتأكيدها . وقال ابن القيم للقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه ، فلا بد ان يكون مما يحسن فيه وذلك كالامور الغائبة والخفية اذا اقسم على ثبوتها . فاما الامور الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها .

ولا يكون الا بمعظم [١] وهو تعالى يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته [٢] وبآياته المستلزمة لذاته وصفاته [٣] تارة على التوحيد [٤] وتارة على أن القرآن حق [٥] وتارة على أن الرسول حق [٦] وتارة على الجزاء والوعد والوعيد [٧]

---

(١) اي بما يعظم المقسم او يجله ، ولهذا انهى النبي ﷺ عن الحلف بغير الله وقال من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك .

(٢) نحو قوله تعالى : فوربك « فلا إقسم برب المشارق » في سبعة مواضع من كتابه .

(٣) نحو والشمس وضحاها والليل إذا يغشى وهو دليل على أنها من عظم آياته قال تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر » فما أقسم عليه الرب فهو من آياته وهو تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله . وقال ابن القيم القسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فو رب السماء والأرض انه لحق . واما على جملة طلبية كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون .

(٤) كقوله والصافات إلى إن إلهكم لواحد وعلى أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها ونحو ذلك .

(٥) كقوله فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله : « إنه لقرآن كريم » .

(٦) كقوله : « يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين . والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم ، وما غوى » .

(٧) كقوله : « والذاريات » إلى قوله : « إنما توعدون لصادق » « والمرسلات » إلى : « إنما توعدون لواقع » .

وتارة على حال الإنسان (١) والقسم اما ظاهر واما مضمر (٢) وهو قسمان قسم دلت عليه اللام نحو لتبلون (٣) وقسم دل عليه المعنى نحو وان منكم إلا واردها (٤)

الخبر والانشاء (٥)

---

(١) كقوله: « والليل إذا يغشى » . إلى : « إن سعيكم لشتى » « والعاديات» إلى : « إن الإنسان لربه لكنود » « والعصر إن الإنسان لفي خسر » وغيرها وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ويحذفه أخرى كما يحذف جواب لو كثيراً للعلم به ويختصر فيحذف فعل القسم ويكتفي بالباء ثم عوض عنها الواو في الأسماء الظاهرة والتاء في اسم الله وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه نحو : « والقرآن ذي الذكر » .

(٢) فالظاهر نحو : « والتين والزيتون وطور سينين » . « والقلم وما يسطرون وإما أن يكون القسم مضمراً كما مثل .

(٣) في أموالكم وأنفسكم فاللام موطئة للقسم « لتسألن يومئذ عن النعيم » ونحو ذلك .

(٤) وتقدير القسم والله ان منكم إلا واردها « إن أنتم إلا في ضلال مبين » ونحو ذلك .

(٥) الخبر لغة وعرفاً ما ينقل عن الغير . وأنشأ ابتدأ حديثاً وهو من أفعال الشروع .

الكلام نوعان خبر وإنشاء (١) والخبر دائر بين النفي والاثبات (٢) والانشاء أمر أو نهي أو اباحة (٣)

---

(١) لأن الكلام اما أن يدخله التصديق أو التكذيب أولا فالأول الخبر والثاني قيل ان اقترن معناه بلفظه فهو الانشاء وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب . والمحققون على دخول الطلب في الانشاء وحذاق النحاة وأهل البيان على انحصار الكلام في النفي والاثبات وان ادعى قوم أكثر منهما .

(٢) والنفي هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد ان النافي إن كان صادقاً سمي كلامه نفياً وان كان كاذباً سمي جحداً ونفياً أيضاً نحو ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . قالوا هذا سحر مبين وأصل أدوات النفي لا وما. والاثبات نحو محمد رسول الله .

ونفي العام يدخل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ونفيه لا يدل على نفيه ونفي العام أحسن من نفي الخاص واثبات الخاص أحسن من اثبات العام . والأول كقوله : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » لم يقل بضوئهم والثاني كقوله : « وجنة عرضها السموات والأرض » ولم يقل طولها لأن العرض أخص .

(٣) أي ومن أقسام الانشاء الأمر وهو طلب فعل غير كف وصيغته افعل ولتفعل وهي حقيقة في الإيجاب نحو : « وأقيموا الصلاة » ومن أقسامه النهي وهو طلب الكف عن فعل وصيغته لا تفعل وهو حقيقة في التحريم ويرد بمعنى الكراهة وبمعنى الارشاد والتسوية والتقليل وغير ذلك . والاباحة نحو وكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً . وإذا حللتم فاصطادوا ومن أقسام الانشاء الاستفهام وأشهر أدواته الهمزة ومن أقسامه التمني والترجي والنداء والقسم وغير ذلك .

والخبر يدخله التصديق والتكذيب (١) والاخبار عن المخلوق هو القصص (٢) وهو الخبر عما كان وما يكون (٣) ويدخل فيه الخبر عن الرسل وأممهم ومن كذبهم (٤) والاخبار عن الجنة والنار والثواب والعقاب (٥)

---

(٢) وقيل الانشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام والخبر خلافه والقصد به افادة المخاطب. وخبرالله لا يكون إلا صدقاً وكلامه لا يكون الا صدقاً قال تعالى: « ومن أصدق من الله قيلا » قوله الحق.

(٣) والله تعالى قص علينا في كتابه العزيز حتى قيل انه ثلث القرآن.

(٤) أي عما كان مما مضى تكوينه قبل وجودنا وما يكون في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(٥) في غير موضع من كتابه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم وما يثنى ذكره من القصص ليس المقصود بها أن تكون مكررة بل المقصود بها أن تكون عبراً كما قال: « عبرة لأولي الألباب » وليس من التكرار في شيء.

(١) عن الجنة وما اعد فيها من النعيم وعن النار وما اعد فيها من العذاب وعن الثواب لمن اطاعه والعقاب لمن عصاه. ولا ريب انه سبحانه بين في القرآن كلما يحتاج اليه في اصول الدين قرر فيه التوحيد والنبوة والمعاد بالبراهين التي لا ينتهي الى تحقيقها نظر. واحتج فيه بالأمثال الصمدية التي هي المقاييس العقلية المفيدة لليقين. وإما بالآيات المشهودة من عقوبات مكذبي الرسل ومن عصاهم ومن نصر الرسل واتباعهم على الوجه الذي وقع. وما وقع من اكرام الله لاهل طاعته وجعل العاقبة لهم وانتقامه من أهل معصيته وجعل الدائرة عليهم لا بمجرد الخبر كما يظنه طوائف من أهل الكلام بل قرر امور الآخرة وضرب الأمثال حتى كانه مشاهد.

طرق التفسير (١)

اصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن (٢) فما اجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر. وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر (٣) فان لم تجده فبالسنة (٤)

---

(١) اي بيان طرق تفسير القرآن واوجه التفسير وغير ذلك.

(٢) قاله الشيخ وغيره. وقالوا أيضا من اراد تفسير الكتاب العزيز طلبه اولا من القرآن.

(٣) ووصنف ابن الجوزي كتابا فيما اجمل من القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه. والمجمل لغة المجموع أو المبهم واصطلاحا ما تردد بين محتملين فاكثر على السواء. وقيل هو مالم تتضح دلالته ومنه الاشتراك نحو والليل إذا عسعس وثلاثة قروء. والحذف نحو وترغبون ان تنكحوهن. واحتمالا للفظ والاستئناف وغرابة اللفظ وغير ذلك وحكمه التوقف على البيان الخارجي.

(٤) أي فان لم تجد تفسير القرآن فطريقة تفسيره بالسنة التي رواها الثقات عن رسول الله ﷺ ففي السنن لما بعث معاذا الى اليمن قال بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله ﷺ قال فان لم تجد قال اجتهد رأيي فضرب في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﷺ ويجب الحذر من رواية الضعفاء والوضاعين فانه كثير. ولهذا قال احمد ثلاث كتب لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير ومراده ان الغالب ليس لها اسانيد صحيحة متصلة. وقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك والحساب اليسير بالعرض وغير ذلك وقال تعالى لتبيين للناس ما نزل اليهم.

فانها شارحة للقرآن وموضحة له [١] فان لم تجده فارجع الى اقوال الصحابة [٢] فانهم ادرى بذلك لما شاهدوه [٣]

---

(١) قاله الشيخ وغيره وقال يجب ان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم الفاظه فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم يتناول هذا وهذا وقال اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة الدين ان السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عن مجمله وانها تفسر مجمل القرآن من الامر والخبر . وقال ابن القيم تقرر نصوص القران وتكشف معانيها كشفاً مفصلا وتقرب المراد منه وتدفع عنه الاحتمالات وتفسر المجمل منه وتبينه وتوضحه لتقوم حجة الله به ويعلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم بين ما انزل اليه من ربه وأنه بلغ الفاظه ومعانيه بلاغا مبينا حصل به العلم اليقني بلاغا اقام الحجة وقطع المعذرة واوجب العلم وبينه احسن البيان وأوضحه . وقال انما يحسن الاستدلال على معاني القرآن بما رواه الثقات ورثة الأنبياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتبعون ذلك بما قاله الصحابة والتابعون أئمة الهدى .

(٢) اي فان لم تجد تفسير القرآن فيما تقدم فارجع الى اقوال الصحابة رضي الله عنهم فقد اخذوا القرآن عن رسول الله ﷺ الفاظه ومعانيه . قال ابن القيم بل كانت عنايتهم باخذ المعاني اعظم من عنايتهم بالالفاظ يأخذون المعاني اولا ثم يأخذون الالفاظ ليضبطوا بها المعاني حتى لا تشذ عنهم . قال عمر : تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا. فنقل معاني القرآن عنهم كنقل الفاظه سواء .

(٣) اي فان الصحابة رضي الله عنهم ادرى بمعاني القرآن لما شاهدوه من التنزيل والقرائن والاحوال التي اختصوا بها . قال ابن القيم : سمعوا من الاحاديث الكثيرة ورأوا منه من الاحوال المشاهدة وعلموا بقلوبهم من مقاصده ودعوته —

ولما لهم من العلم التام والعلم الصحيح [١] لاسيما كبراؤهم كالخلفاء الراشدين [٢]

— ما يوجب فهم ما اراد بكلامه ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه فليس من سمع وعلم ورأى حال المتكلم كمن كان غائباً لم ير ولم يسمع وعلم بواسطة ووسائط .

(١) قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولاظهار دينه وحفظه فالرجوع اليهم متعين قال احمد : اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ وقد شهد لهم فقال : من كان على مثل ما انا عليه واصحابي . وقال البخاري : كانوا اذا جلسوا يتذاكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ولم يكن بينهم رأي ولا قياس ولم يكن الامر بينهم كما هو في المتأخرين قوم يقرؤون القرآن ولا يفهمونه وآخرون يتفقهون في كلام غيرهم ويدرسونه وآخرون يشتغلون في علوم اخر وصنعة اصطلاحية بل كان القرآن عندهم هو العلم الذي يعتنون به حفظاً وفهماً وعملاً وتفقهاً وكانوا احرص الناس على ذلك ورسول الله ﷺ بين اظهرهم وهو يعلم تأويله ويبلغهم اياه كما يبلغهم لفظه فمن الممتنع ان يكونوا يرجعون الى غير ذلك ومن الممتنع ان لا تحرك نفوسهم لمعرفته ومن الممتنع ان لا يعلمهم اياه وهم احرص الناس على كل سبب ينال به العلم والهدى وهو احرص الناس على تعليمهم وهدايتهم . وقال ابن القيم : واذا كان للصحابة من ذلك ما ليس لمن بعدهم كان الرجوع اليهم في ذلك دون غيرهم متعيناً قطعاً وان الرجوع اليهم في تفسير القرآن هو الطريق المستقيم .

(٢) اي لا سيما كبراء الصحابة كالخلفاء الراشدين المنوه بذكرهم في قوله ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) واكثر من روى عنه منهم علي حتى انه قال : سلوني عن كتاب الله فما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في جبل وقال : وقد علمت فيما انزلت .

والأئمة المهديين كابن مسعود وابن عباس (١) وإذا لم تجده فقد رجع كثيرمن الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين (٢)

---

(١) اي ولا سيما ايضاً الأئمة المهديين كعبد الله بن مسعود الذي يقول : ما نزلت من آية من كتاب الله الا وانا اعلم فيمن نزلت واين نزلت ولو اعلم احداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته وقال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن. وكترجمان القرآن عبد الله بن عباس الذي قال فيه رسول الله ﷺ : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال فيه ابن مسعود : نعم الترجمان للقرآن وتوفي ابن مسعود سنة اثنتين وثلاثين وعمر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة. ومنهم ابي بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وانس وابو هريرة وجابر وغيرهم ونص احمد على انه يرجع الى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن ما لم يخالفه غيره منهم . وطائفة من اهل الحديث يجعلون تفسيره في حكم الحديث المرفوع قال الحاكم : تفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع والبخاري يدخل قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا في المسند وغيره لا يدخله فيه بخلاف ما اذا ذكر سبباً نزلت عقبه فكل العلماء يدخلون مثله في المسند . وما فسروه من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتماده او بما شاهدوه من الاسباب والقرائن فلا شك فيه

(٢) اي واذا لم تجد معاني القرآن في القرآن ولا فيما رواه الثقات عن الرسول ﷺ ولا فيما قاله الصحابة رضي الله عنهم فقد رجع كثير من الأئمة الاربعة وغيرهم في تفسير القرآن الى اقوال التابعين أئمة الهدى وهم تلقوا التفسير عن —

كمجاهد وسعيد بن جبير (١) وعكرمة وعطاء (٢) والحسن ومسروق وسعيد بن المسيب (٣)

— الصحابة وقال ﷺ خير القرون قرني ثم الذين يلونهم فكلما كان العصر اشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه اكثر .

(١) وكان مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم آية في التفسير وقال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته اوقفه عند كل آية منه اسأله عنها فيم نزلت وكيف نزلت وكيف معناها وقال ابن ابي مليكة : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله وقال سفيان : اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به واعتمده البخاري وغيره في التفسير . وكان سعيد بن جبير اعلم التابعين بالتفسير قال قتادة كان اعلم التابعين اربعة وكان سعيد بن جبير اعلمهم بالتفسير وقال سفيان : خذوا التفسير عن اربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك .

(٢) قال عكرمة كل شيء أحدثكم به في القرآن فهو عن ابن عباس . وعطاء أيضاً ممن أخذ عن ابن عباس . وقال شيخ الإسلام أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس وغيرهم .

(٣) والحسن البصري وعطاء ابن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي وأبو العالية والضحاك وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم ومرة الهمداني وأبو مالك وغيرهم وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة رضي الله عنهم وقال أحمد لا يكاد يجيء شيء عنهم إلا ويوجد فيه شيء عن أصحاب رسول الله ﷺ وقال الشيخ أيضاً أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء وعكرمة —

وكالك والثوري والأوزاعي والحمادين وأبي حنيفة وغيرهم من تابعي التابعين [١] وكالشافعي وأحمد وإسحق وأبي عبيد وأمثالهم من أتباع تابعي التابعين [٢] قال الشيخ وقد يقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا وليس كذلك [٣]

— وكطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وكذا أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود. وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير وابن وهب. وذكر أيضاً من لهم لسان صدق في الأمة مثل سعيد بن المسيب وعلي ابن الحسين وعلقمة والأسود والحسن البصري وابن سيرين وغيرهم من التابعين وقال السلف محتاجون لشيئين معرفة ما أراد الله ورسوله بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل وما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ فان الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا به حروفه .

(١) فهم تلقوا معانيه عن التابعين عن الصحابة وأثنى عليهم رسول الله ﷺ فقال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والناس محتاجون لمعرفة معاني ألفاظ القرآن عنهم وهم الواسطة بين التابعين وأتباع تابعي التابعين .

(٢) فهم أئمة هدى وداخلون في المثنى عليهم والمسلمون محتاجون لأخذ معاني القرآن عنهم وعن غيرهم من أئمة المسلمين وبهم حفظت الشريعة المطهرة .

(٣) أي وليس التباين في الألفاظ من تفاسير السلف اختلافاً .

فان منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره . ومنهم من ينص على الشيء بعينه [١] .

---

(١) قال والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن فليتفطن اللبيب لذلك وقال أيضاً بعد أن ذكر أن النبي ﷺ بين لهم ألفاظه ومعانيه ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم ومن التابعين من تلقى جميع التفاسير عن الصحابة وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال. والخلاف بين السلف قليل وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لاختلاف تضاد وذلك صنفان احدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن اي اتباعه وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وامثال ذلك فهؤلاء كلهم اشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها . الثاني ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض انواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق المحدود في عمومه وخصوصه . مثاله ما نقل في قوله تعالى « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا » الآية فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات فالمقتصدون اصحاب اليمين والسابقون السابقون اولئك المقربون . ثم كل منهم يذكر هذا في نوع من —

ويرجع الى لغة القرآن (١)

— انواع الطاعات كقول القائل السابق الذي يصلي في اول الوقت والمقتصد الذي يصلي في اثنائه والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر الى الاصفرار . ويقول السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط والظالم مانع الزكاة قال وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات وتارة لذكر بعض انواع المسمى وهو الغالب في تفسير سلف الامة الذي يظن انه مختلف . ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للامرين كلفظ عسعس الذي يراد به اقبال الليل وادباره واما لكونه متواطئاً في الاصل لكن المراد به احد النوعين او احد الشخصين كالضمائر في قوله « ثم دنى فتدلى » الآية وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر واشباه ذلك فمثل ذلك قد يجوز ان يراد به كل المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك فالاول اما لكون الآية نزلت مرتين فاريد بها هذا تارة وهذا تارة واما لكون اللفظ المشترك يجوز ان يراد به معنياه واما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً اذا لم يكن لتخصيصه موجب فهذا النوع اذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني . ومن الاقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً ان يعبروا عن المعاني بالفاظ متقاربة كما اذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم ترتهن لان كلا منهما قريب من الآخر .

(١) اي ويرجع فيما احتمل معان ووقع في عباراتهم تباين الى لغة القرآن في ذلك فان اللفظ في القرآن يكون له نظائر يعرف معناه باطراد ذلك المعنى في تلك النظائر وعموم المعنى لموارد استعمال ذلك اللفظ ولهذا تسمى تلك الالفاظ النظائر وفيها صنف ابن الجوزي وغيره كتب الوجوه والنظائر فالوجوه الالفاظ المشتركة والنظائر الالفاظ المتواطئة . الوجوه فيما اتفق لفظه واختلف معناه . والنظائر فيما اتفق لفظه ومعناه .

او السنة او لغة العرب (١) ومن تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه (٢) ويحرم بمجرد الرأي (٣) وقال ابن عباس التفسير على اربعة اوجه (٤)

(١) اي ويرجع في تفسير القرآن فيما احتمل معان ووقع في عبارات السلف فيه تباين الى لغة السنة في ذلك او يرجع الى لغة العرب فان القرآن نزل بلسان عربي مبين ونص عليه احمد وغيره قال مجاهد : لايحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالماً بلغات العرب . وقال مالك : لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله الا جعلته نكالا فيجوز الرجوع الى اللغة لان بها يعرف شرح الالفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب الوضع .

(٢) اي ومن تكلم بما يعلم من مقتضى لغة القرآن والسنة ولغة العرب وبالمقتضى من قوة الشرع فلا حرج عليه في ذلك وذلك هو ما دعا به النبي ﷺ لابن عباس حيث قال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وهو الذي عناه علي بقوله الا فهما يؤتاه رجل في القرآن وقد تعبدنا تعالى بتدبر كتابه وتفهمه واستنباط الاحكام منه وقال : لعلمه الذين يستنبطونه منهم .

(٣) من غير لغة ولا نقل ولا معرفة لاصول العلم وفروعه قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقال : « وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » ولابي داود وغيره من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ . وله ايضاً من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . ومن اعظم الغلط في كلام الله وكلام رسوله ان ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد ان يفسر كلام الله وكلام رسوله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها لا بمقتضى اللغة .

(٤) هذا الأثر رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس من طرق وروي مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ انزل القرآن على اربعة احرف حلال وحرام لا يعذر احد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله .

وجه تعرفه العرب من كلامها (١) وتفسير لا يعذر احد بجهالته (٢) وتفسير يعلمه العلماء (٣) وتفسير لا يعلمه الا الله (٤)

---

(١) وهو الذي يرجع فيه الى لسانهم وذلك اللغة والاعراب اما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات اسمائها. واما الاعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب عليه تعلمه ليصل به الى معرفة الحكم والا فلا لوصوله الى المقصود بدونه .

(٢) وهو ما يتبادر معناه الى الافهام من النصوص المتضمنة شرائع الاحكام ودلائل التوحيد اذ كل احد يدرك معنى التوحيد من قوله فاعلم انه لا اله إلا الله وان مقتضى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه طلب ايجاد المأمور به فما كان من نحو هذا فلا يعذر احد بجهله بمعاني الفاظه لانها معلومة لكل احد .

(٣) وهو استنباط الاحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فيرجع في ذلك الى اجتهادهم وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي واذا كان احد المعنيين اظهر وجب الحمل عليه الا ان يقوم دليل على ان المراد هو الخفي .

(٤) وهو ما يجري مجرى الغيوب وهو نحو ما تقدم في المتشابه الذي لا يعلمه الا الله كاشراط الساعة. واما عدم وصول بعضهم الى فهم المراد باللفظ فتارة يكون بسبب استعمال لفظ غريب او لعدم تمييز المنسوخ او معرفة اسباب النزول او حذف المضاف او الموصوف او غيرها او ابدال شيء مكان شيء او حرف بحرف او اسم باسم او فعل بفعل او ذكر الجمع موضع المفرد او بالعكس وغير ذلك مما ينبغي الاطلاع عليه .

التفاسير (١)

احسن التفاسير مثل تفسير عبدالرزاق (٢) ووكيع وعبد بن حميد ودحيم (٣) وتفسير احمد واسحاق (٤) وبقي بن مخلد وابن المنذر (٥)

---

(١) اي بيان ذكر بعض التفاسير المقبولة كتفاسير أئمة الاسلام والمردودة كتفاسير اهل البدع .

(٢) اي احسن التفاسير التي لا يكاد يوجد فيها الخطأ لا من جهة الدليل ولا من جهة الاستدلال مثل تفسير عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحافظ الحميري مولاهم .

(٣) اي واحسن التفاسير مثل تفسير وكيع بن الجراح الرواسي ابي سفيان الحافظ الكوفي روى عنه احمد وطبقته من كبار تابعي التابعين قال احمد : ما رأيت اوعى للعلم ولا احفظ منه . مات سنة مائة وسبع وتسعين وعبد بغير اضافة ابن حميد بن نصر الكسي مدينة قرب سمرقند قيل اسمه عبد الحميد ثقة حافظ مات سنة مائتين وتسع واربعين له مسند كبير وتفسير مشهور . ودحيم هو عبد الرحمن بن ابراهيم بن عمرو العثماني مولاهم الدمشقي الحافظ المتوفي سنة مائتين وخمس واربعين وله خمس وسبعون .

(٤) احمد هو الامام احمد بن حنبل الشيباني العالم الرباني ناصر السنة وقامع البدعة ولد ببغداد وطاف البلاد له المسند والتفسير وغيرهما توفي في سنة مائتين واحدى واربعين واسحق هو ابن ابراهيم بن مخلد التميمي النيسابوري المعروف بابن راهوية احد أئمة التفسير توفي في سنة مائتين وتسع وثلاثين .

(٥) بقي بن مخلد هو الاندلسي القرطبي الحافظ المفسر له تفسير قال ابن بشكوال لم يؤلف مثله في الاسلام مات سنة مائتين وست وسبعين .

وسفيان بن عيينة وسنيد (١) وتفسير ابن جرير وابن ابي حاتم (٢)
وأبي سعيد الاشج وابن ماجه (٣) وابن مردوية والبغوي وابن كثير (٤)

وابن المنذر هو محمد بن ابراهيم النيسابوري الامام المشهور صاحب التصانيف المتوفي سنة ثلاثمائة وتسع عشرة.

(١) سفيان بن عيينة هو ابن أبي عمران ميمون الهلالي كوفي ثم مكي ثقة حافظ مشهور في التفسير مات سنة ثمان وتسعين ومائة وكذا سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. وسنيد وهو حسين بن داود المصيصي امام مشهور مات سنة مائتين وست وعشرين. ومثل تفسير شعبة ويزيد بن هرون وابن ابي اياس وروح بن عبادة وابن ابي شيبة وغيرهم جمعوا فيها اقوال الصحابة والتابعين .

(٢) اي ومثل تفسير ابن جرير الامام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري صاحب التفسير المشهور وغيره . قال النووي كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف احد مثله توفي سنة ثلاثمائة وعشرة وابن ابي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الحنظلي له التفسير وغيره مات سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين. ومثل تفسير شعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وغيرهم .

(٣) ابي سعيد هو عبد الله ابن سعيد بن حصين الكندي امام اهل زمانه كوفي ثقة اخذ عنه ابن جرير وغيره مات سنة سبع وخمسين ومائتين .
وابن ماجه هو محمد بن يزيد الربعي مولاهم ابو عبد الله بن ماجه القزويني الحافظ صاحب السنة وغيرها توفي سنة مائتين وثلاث وسبعين .

(٤) ابن مردوية هو أحمد بن موسى بن مردوية الاصبهاني الحافظ له كتب منها التفسير وغيره توفي سنة احدى وأربعمائة . والبغوي هو الإمام الجليل محيي —

وحدث طوائف من أهل البدع (١) تأولوا كلام الله على آرائهم (٢)

— السنة أبو محمد الحسين بن سعيد الفراء المتوفي سنة خمسمائة وست عشرة قال الشيخ تفسيره البغوي مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة . وابن كثير هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين وشيخه شيخ الإسلام والمزي وغيرهما من اهل التحقيق . ولا ريب ان الاكباب على كتب اهل السنة الذين لا تروج عليهم احداث المحدثين وتأويلات الجاهلين وعلى تفاسيرهم وسيلة الى سلوك سبيلهم . وقال ابن رجب : في زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي واحمد واسحق . وابي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهم اشد مخالفة لها لشذوذهم عن الامة وانفرادهم عنهم بفهم يفهمه او مأخذ لم تأخذ به الامة من قبل . واما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض .

(١) قال وهم نوعان عالم بالحق يتعمد خلافه يبتدع ما يخالف كتاب الله ويقول هو من عند الله . اما احاديث مفتريات واما تفسير وتأويل للنصوص باطل واما اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني تلاوة غير عارفين بمعناه .

(٢) قال قد أخطؤا في الدليل والمدلول حيث اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الامة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الامة وأئمتها عمدوا الى القرآن فتأولوه على آرائهم واستخرجوا التأويلات المستكرهة التي هي بالالغاز اشبه منها بالبيان.

تارة يستدلوا بآيات الله على مذهبهم [١] وتارة يتأولوا ما يخالف مذهبهم [٢] . كالخوارج والرافضة والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم [٣]

---

(١) ولا دلالة فيها بل يتعسفون بكل طريق حتى يجعلوا القرآن تبعاً لمذاهبهم وتقوية لقول أئمتهم .

(٢) بما يحرفون به الكلم عن مواضعه والمبتدع ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث انه متى لاح له شاذة من بعيد اقتنصها او وجد موضعاً له فيه ادنى مجال سارع اليه .

(٣) وقل في تفاسيرهم تفسير ما بعث الله به رسله بل غالب ما فيها حق ملبوس بباطل وقل من يتصور مرادهم . ولما ذكر ابن القيم الاستدلال على معاني القرآن بما جاء عن الرسول ﷺ واصحابه والتابعين قال وهذا بخلاف ما اخذ عن أئمة الضلال وشيوخ من التجهم والاعتزال كالمريسي والجبائي والنظام والعلاف واضرابهم وقال ايجوز الرجوع الى تحريفات جهم وشيعته وتأويلات العلاف والنظام والجبائي والمريسي وعبد الجبار واتباعهم من اعمى اعجمي القلب واللسان بعيد عن السنة والقرآن مغموز عند اهل العلم والايمان. وقال الطبري : من شرط المفسر صحة الاعتقاد اولا . ولزوم سنة الدين فان من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن في الدين على الاخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الاخبار عن اسرار الله تعالى . ولانه لايؤمن ان يكون متهما بالالحاد ان يبغي الفتنة ويغر الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الدافضة وان كان متهما بهوى لم يؤمن ان يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية فان احدهم يصنف —

قال الشيخ وأعظمهم جدالاً المعتزلة [١] وقد صنفوا تفاسير على اصول مذهبهم [٢] مثل تفسير ابن كيسان الاصم والجبائي [٣]

— الكتاب في التفسير ومقصوده منه ايضاح الساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى. وقال التفتازاني : سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظاهرها بل لهـــا معان باطنة لا يعرفها الا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية .

(١) ولهم عبارات مزخرفة تتضمن الداء العضال قال : وكثير من المتأخرين غلب عليهم مذهب الاشاعرة الذي حاصله نفي العلو وتأويل الآيات بالتأويلات الموروثة عن بشر واضرابه وبعضهم يذكر ما عليه السلف وما عليه المتكلمون ويختاره ويقرره ولا خير في تكبير حجم تفسير بمذهب اهل البدع .

(٢) فصنفت الرافضة وتأولت آيات من كتاب الله على مذهبها كما يأتي وكذا الجهمية تأولت آيات الصفات والاسماء وأنها الفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني . والمعتزلة كما تقدم عنهم والقدرية كنفيهم علم الله بما هو كائن وكذا غيرهم من اهل البدع . قال الشيخ وتأويلاتهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي وأضرابه وقد أجمع أئمة الهدي على ذمهم وأكثرهم كفروهم وضللوهم .

(٣) ابن كيسان هو محمد بن احمد المعروف بابن كيسان له كتب منها معاني القرآن توفي سنة مائتين وتسع وتسعين . والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه تنسب الطائفة الجبائية مات سنة ثلاث وثلاثمائة .

وعبد الجبار الهمداني والرماني والكشاف [1] ووافقهم متأخروا الشيعة كالمفيد وابي جعفر الطوسي [2] اعتقدوا رأياً ثم حملوا الفاظ القرآن عليه [3]

---

(١) عبد الجبار هو ابن احمد بن عبد الجبار شيخ المعتزلة في عصره له تنزيه القرآن عن المطاعن. والرماني هو علي بن عيسى النحوي البغدادي له كتاب التفسير وغيره توفي سنة ثلاثمائة وأربع وسبعين . والكشاف للزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي المتوفي سنة خمسمائة وثمان وثلاثين وأشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن .

(٢) أي ووافق المعتزلة متأخروا الشيعة وصنفوا تفاسير علي اصول مذهبهم وتأولوا آيات الصفات وحرفوها عن مواضعها والحدوا فيها والمفيد هو محمد بن النعمان رئيس الامامية في وقته له مصنفات منها الكلام في وجوه اعجاز القرآن توفي سنة اربعمائة وثلاث عشرة. وأبو جعفر الطوسي هو محمد بن الحسن بن علي من أكابر فقهاء الشيعة له التبيان الجامع لعلوم القرآن المتوفي سنة اربعمائة وستين .

(٣) وذكر ايضاً انهم ابتدعوا الفاظاً ومعاني وجعلوها هي الاصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه . ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما اريد بها . فجعلوا بدعتهم اصلا محكما وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فرعا له ومشكلا اذا لم يوافقه . والواجب ان يجعل ما انزل الله من الكتاب والحكمة اصلا ثم يرد ما تكلم فيه الناس الى ذلك . قال وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة الا —

ومنهم حسن العبارة يدس البدع في كلامه كصاحب الكشاف [1] حتى إنه يروج على خلق كثير [2] وذكر ان تفسير ابن عطية وامثاله [3]

— وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين من العلم بفساد قولهم ومن العلم بفساد ما فسروا به القرآن .

(١) اي ومن اهل البدع من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع في كلامه كما يدس البدع وغيرها صاحب الكشاف يعني الزمخشري ونحوه واكثر الناس لا يعلمون .

(٢) ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة . قال ولسبب تطرفهم وضلالهم دخلت الرافضة الأمامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة فانهم فسروا القرآن بانواع لا يقضي العالم منها عجبه فتفسير الرافضة كقولهم تبت يدا ابي لهب هما أبو بكر وعمر . أن تذبحوا بقرة هي عائشة قاتلوا أئمة الكفر طلحة والزبير . اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين في امام مبين علي . قال ومما يقلد به من بعض الوجوه مايذكره كثير من المفسرين مثل قوله الصابرين رسول الله الصادقين أبو بكر والقانتين عمر والمنفقين عثمان والمستغفرين علي . وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال . وتارة جعل اللفظ المطلق العام منحصراً في شخص واحد نحو إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا أريد بها أبو بكر وحده . والذي جاء بالصدق وصدق به .

(٣) أي وذكر شيخ الإسلام أن تفسير ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم الغرناطي صاحب المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز المتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وأمثاله من أهل البدع .

وان كان اسلم من تفسير الزمخشري (٢) لكنه يذكر ما يزعم انه من قول المحققين (٣) وانما يعني طائفة من اهل الكلام الذين قرروا اصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة (٤)

---

(٢) واتبع للسنة والجماعة قال البلقيني في تفسير الزمخشري استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش من قوله في تفسير فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وأي فوز أعظم من دخول الجنة أشار به إلى عدم الرؤية . والملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقل . وذكر قول الرافضة في أن تذبحوا بقرة وغيره ثم قال وعلى هذا وأمثاله يحمل خبر « إن في أمتي قوماً يقرؤن القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » .

(٣) ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فانه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً ثم انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين .

(٤) يعني أصولهم وان كان أهل الكلام أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب قال فان الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم باحسان صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا .

وذكر الذين اخطؤا في الدليل مثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم يفسرون القرآن بمعان صحيحة لكن القرآن لا يدل على كثير مما ذكره ابو عبد الرحمن السلمي في حقائق التفسير (١) وان كان فيما ذكروه ما هو معان باطلة فان ذلك يدخل في الخطأ في الدليل والمدلول جميعاً (١) حيث يكون المعنى الذي قصدوه فاسداً (٢) وبالجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك (٣)

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الازدي النيسابوري من علماء الصوفية وتفسيره على طريقهم يستدل عليها بألفاظ لم يرد بها القرآن وهو الذي يسمونه الإشارات . قال ابن الصلاح وجدت عن أبي الحسين الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر . وقال الظن بمن يوثق بهم إذا قال شيئاً من ذلك لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية.

(١) أي فان ما فسروا به الآية على مالا يدل على مرادهم وأخطؤا في معنى الآية يدخل ذلك في الخطإ في الدليل إذ لم يدل على مرادهم وفي المدلول إذا خطؤا في المعنى .

(٢) ليس المراد بيان معاني كتاب الله وايضاح المراد منه بل تأييد مذاهبهم .

(٣) أي في ذلك التفسير الذي عدل فيه عن مذاهب الصحابة والتابعين إلى ما يخالفها وكثير من الناس لا يعرف حقيقة كلام السلف والأئمة ومنهم من —

بل مبتدعاً [١] وإن كان مجتهداً مغفور له خطؤه [٢]

—يعظمهم ويظن أنه متبع لهم مع أنه مخالف لهم من حيث لا يشعر ومنهم من يظن أنهم كانوا لا يعرفون أصول الدين ولا تقريرها بالدلائل البرهانية وذلك لجهلهم بعلمهم بل لجهلهم بما جاء به الرسول ﷺ من الحق الذي تدل عليه الدلائل العقلية مع السمعية . بل فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها . واعتقدوا أنهم بمنزلة الأميين وان طريقة المتأخرين هي استخراج معاني النصوص وظنهم هو الذي أوجب لهم نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم . فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والظلال بتصويب طريقة الخلف . وبقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى . وهذا طريقة السلف عندهم . وبين صرف اللفظ عن حقيقته وما وضع له الى ما لم يوضع له ولا دل عليه بانواع من المجازات والتكلفات التى هي بالالغاز والأحاجي اشبه منها بالبيان والهدى .

(١) قال لانهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم واسباب هذا الضلال التقصير عن معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه السلف وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحقائق من امة وكم وقع بذلك من خلل وريب وغمة .

(٢) أى وان كان من عدل عن مذاهب الصحابة وتأول الآيات مجتهدا باذلا وسعه مغفور له خطؤه للخبر « وان اجتهدوا خطأ فله اجر واحد » وخبر «عفي عن امتي الخطا والنسيان » .

فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته [٢] وطرق الصواب [٣] .

سبب الاختلاف [٤]

منه ما مستنده النقل أو الاستدلال [٥] والمنقول اما عن المعصوم أو لا [٦] .

---

(٢) أي فا لمقصود من ذكر من اخطأ في التفسير بيان طرق العلم الذي ينبغي أن تسلك وأدلة العلم المقبولة والتنبيه على المردودة .

(٣) أي والمقصود بيان طرق الصواب من الخطأ والضلال . قال الشيخ ومن أعظم أسباب البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه وفسروا كلام الله ورسوله بغير ما أريد به وتأولوه على غير تأويله . فمن أصول العلم بذلك أن يعلم الإنسان القول الذي خالفوه وانه الحق . وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم وأن يعرف أن تفسيرهم محدث مبتدع ثم أن يعرف بالطرق المفصلة فساد تفسيرهم بما نصبه الله من الأدلة على بيان الحق .

(٤) أي ذكر سبب الاختلاف بين الناس في تفسير القرآن .

(٥) أي من الاختـــلاف في التفسير كما قال الشيخ وغيره منه ما مستنده النقل والمرجع فيه إلى الصحة ومن يقبل منه . ومنه ما يعلم بغير النقل وهو ما مستنده الاستدلال والمرجع فيه إلى صحة الاستدلال . وقال اذ العلم اما نقل مصدق واما استدلال محقق .

(٦) أي والمنقول في التفسير وغيره اما عن المعصوم ﷺ أو عن غيره من الصحابة أوالتابعين . قال الشيخ ومن المنقول ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف وما يحتاج المسلمون إلى معرفته فان الله نصب على الحق دليلا ومالا يمكن فلا طريق—

وإذا جاء عنه من جهتين أو جهات من غير تواطء فصحيح [١] وكذا المراسيل إذا تعددت طرقها [٢] وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول أوجب العلم [٣]

— بالجزم بالصدق منه فالبحث عنه مما لا فائدة فيه . ومثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه الاختلاف في أصحاب الكهف . وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة . وفي مقدار سفينة نوح . وفي اسم الغلام الذي قتل الخضر ونحو ذلك فهذا طريقة العلم به النقل فما كان منقولاً نقلاً صحيحاً عن المعصوم كاسم صاحب موسى انه الخضر فمعلوم وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة . وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض .

(١) أي وإذا جاء التفسير عن المعصوم ﷺ من جهتين من غير تواطء فصحيح لاعتضاد أحدهما بالآخر . أو جاء عن المعصوم من جهات وقد علم أن المخبرين لم يتواطؤا على اختلاقه وعلم أن ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقا بلا قصد فهو صحيح .

(٢) أي فهي صحيحة قال . الشيخ المراسيل إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد كانت صحيحة قطعاً . والمراسيل جمع مرسل وهو قول التابعي قال رسول الله كذا أو فعل كذا .

(٣) قال الشيخ جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له وعملاً به أنه يوجب العلم إلا فرقة من المتأخرين اتبعوا طائفة من أهل الكلام انكروا ذلك . وأكثر أهل الكلام يوافقون الفقهاء —

والمعتبر في قبول الخبر اجماع أهل الحديث [١] وله أدلة يعرف بها انه صدق [٢] وعليه ادلة يعرف بها انه كذب [٣] كما في تفسير الثعلبي [٤] والواحدي والزمخشري وأمثالها [٥]

— على ذلك . وقال ابن القيم هذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله ﷺ خرقوا به اجماع الصحابة المعلوم بالضرورة واجماع التابعين واجماع أئمة الإسلام ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج الذين انتهكوا حرمة هذه الأمة وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء والا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك بل صرح الأئمة بخلاف قولهم ومن له المام بالسنة والتفات اليها يعلم ذلك وذكر عليه أكثر من عشرين دليلاً .

(١) كما ان المعتبر في الإجماع على الأحكام باجماع أهل العلم بالأمر والنهي والاباحة ولا تجتمع الامة على خطا فاذا اجمعوا على حكم جزمنا بانه ثابت .

(٢) أي وللخبر الوارد من طريق أو طرق ادلة شرعية يعرف بها انه صدق لموافقته الاصول الشرعية .

(٣) لمناقضته الاصول الشرعية يعلم ذلك من له المام بأصول الشرع واطلاع تام وذهن ثاقب وفهم قوي ومعرفة بالقرائن الدالة على ذلك .

(٤) أحمد بن محمد بن ابراهيم المتوفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة له التفسير الكبير اختصره البغوي قال الشيخ هو نفسه فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع .

(٥) الواحدي هو علي بن أحمد بن محمد بن علي معروف بالواحدي له البسيط والوسيط والوجيز في التفسير . والزمخشري هو محمود بن عمر صاحب الكشاف —

وهو قليل في تفاسير السلف (١) وما نقل عن بعض الصحابة نقلا صحيحاً فالنفس اليـه اسكن مما نقل عن بعض التـابعين (٢) والأسرائيليات تذكر للاشتهاد لا للاعتماد (٣) وما علمت صحته مما شهد له الشرع فصحيح (٤) وما خالفه فيعتقد كذبه (٥) وما لم يعلم حكمه في شرعنا لا يصدق ولا يكذب (٦)

—وذكر الشيخ ان في كتب التفسير من الموضوعات شيء كثير . وقال مثل ما يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة فانه موضوع باتفاق أهل العلم .

(١) أي والخبر الذي عليه ادلة يعرف بها أنه كذب قليل في تفاسير السلف وأكثرهم يوضح ذلك كابن كثير ويورده بسنده ليعلم ذلك.

(٢) لأن الصحابة رضي الله عنهم اخذوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاظه ومعانيه وكانت عنايتهم باخذ المعاني اعظم من عنايتهم بالالفاظ . ورأوا من الأحوال المشاهدة وعلموا بقلوبهم من مقاصده ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه .

(٣) ففي شرع محمد صلى الله عليه وسلم غنية عنها وشريعته ناسخة لشريعة من قبله .

(٤) يعرفه من له بصر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٥) لما تقرر من تحريفهم وتبديلهم .

(٦) الا بحجة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم . قال الشيخ وكذا ما نقل عن بعض التابعين ولو لم يذكر انه اخذه عن اهل الـكتاب .

وغالبه لا فائدة فيه (٦) والخطأ الواقع في الاستدلال من جهتين حدثتا عمن تقدم ذكرهم من المبتدعة بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم . اعتقدوا معاني حملوا الفاظ القرآن عليها (١) او فسروه بمجرد ما يسوغ ان يريده مما لا يدل على المراد من كلام الله بحال (٢) وتبعهم كثير من المتفقهة لضعف آثار النبوة (٣) والعجز والتفريط (٤) حتى كانوا يروون ما لا يعلمون صحته .

(٦) أي وغالب ما في الأسرائيليات لا فائدة فيه .

(١) أي قسم ممن جاء بعد الصحابة والتابعين اعتقدوا معاني ثم حملوا الفاظ القرآن عليها . وراعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه الفاظ القرآن من الدلالة والبيان . وهم تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه واريد به . وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به . وفي كـلا الأمرين قد يكون ما قصدوا تفسيره أو اثباته من المعنى باطلاً .

(٢) أي والقسم الثاني فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه ممن كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر الى المتـكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به . وهو مما لا يدل على المراد من كلام الله بحال . وإنما راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الـكلام .

(٣) فيهم لضعف الهمم وتشعبها والاشتغال بما لا يجدي .

(٤) أي والعجز عن معرفة معاني القرآن العزيز والتفريط في التحصيل حتى أخطؤوا في الاستدلال .

وقد يكون الاختلاف لخفاء الدليل والذهول عنه (١) وقد يكون لعدم سماعه وقد يكون للغلط في فهم النص وقد يكون لاعتقاد معارض راجح (٢)

التفسير (٣)

التفسير كشف معاني القرآن و بيان المراد منه (٤)

---

(١) لما بهم من الوهن عن التفتيش عليه .

(٢) وغير ذلك مما هو من أسبـــاب الاختلاف . قال الشيخ وكثير من الكتب المصنفة في أصول علوم الدين وغيرها تجد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة كمسألة القرآن والرؤية والصفات والمعاد وحدوث العالم وغير ذلك يذكر أقوالاً متعددة والقول الذي جاء به الرسول وكان عليه سلف الأمة ليست في تلك الكتب ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به .

(٣) أي ذكر أحكام التفسير وما لا بد للمفسر منه والتفسير تفصيل من الفسر وهو البيان والكشف .

(٤) هذا المعروف عند العلماء كما حكاه الاصهاني وغيره وقال الزركشي وغيره علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك . ومن ذكر فضائل القرآن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها وقال غيره يجب أن يتحرى مطابقة المفسر وأن يتحرز من نقص لما يحتاج اليه في ايضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض ويتحرى الغرض الذي سيق له الكلام وقال –

قيل بعضه يكون من قبل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها (١) وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض (٢) وأجمعوا على أن التفسير من فروض الكفايات (٣) .

أبو حيان كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الاعراب بعلل النحو ودلائل أصول الفقه ومسائله ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر في تآليف هذه العلوم وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه . وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ اسرائيلية ولا ينبغي ذكر هذا في التفسير .

(١) وقال الثعلبي وغيره بيان وضع اللفظ وإخبار عن دليل المراد . وروى البيهقي وغيره الحث على اعرابه وهو معرفة معاني الفاظه والمرجع في ذلك إلى كتب أهل الفن في ذلك كالزجاج والفراء والأخفش وأبي عبيد وابن الأنباري وغيرهم .

(٢) وقيل هو التأويل وتقدم بيان التأويل في القرآن وعند أهل التفسير أنه يراد به عند بعضهم التفسير .

(٣) للحاجة اليه وما أنزل إلا ليفهم وقال الشيخ معرفة معنى كل آية فرض على الكفاية ولا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية بل معرفة ما لا بد منه .

وهو أجل العلوم الشرعية (١) وأشرف صناعة يتعاطاها الإنسان (٢) والمعتني بغريبه لا بد له من معرفة الحروف (٣) وأكثر من تكلم فيها النحاة (٤) .

---

(١) بالاجماع بل القرآن أصل العلوم وفضله وفضل حامله مشهور معلوم فايضاحه وبيانه أجل العلوم وأشرفها وأعلاها بل به عصمتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة .

(٢) وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا معانيهن والعمل بهن . وفي الخبر خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال تعالى لنبيه ﷺ : « لتبين للناس ما نزل اليهم » وشرف كلام الله لا يخفى فبيانه أشرف بيان وأفضله وقال ابن عباس : الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالذي يهذ الشعر هذا .

(٣) أي والمعتني بتفسير القرآن لا بد له من معرفته معنى الكلمة وصيغتها ومحلها ومعرفة الحروف لاختلاف مواقعها قال ابن عباس الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم وقال في إنما الصدقات للفقراء الآية فالأربعة الأول يملكونها ملكاً مطلقاً والأربعة الأخيرة ملكاً مراعا كما هو معروف في موضعه والحروف يراد بها الاسم والفعل وحروف المعاني واسم حروف الهجاء وكثيراً ما يوجد في كلام المتقدمين هذا حرف من الغريب يعبرون بذلك عن الاسم التام فقوله ﷺ بكل حرف عشر حسنات مثله بقوله الف حرف ولام حرف وميم حرف والمراد هنا حروف المعاني التي هي قسيمة الأسماء والأفعال وباعتبار معانيها إلى حروف استفهام وحروف نفي وحروف تخضيض وغير ذلك وحروف الهجاء تسمى حروفاً وهي أسماء كالحروف المذكورة في أوائل السور لأن مسماها هو الحرف الذي هو حرف الكلمة وسميت حروف الكلام حروفاً لأنها طرف الكلام وحده ومنتهاه .

(٤) فيرجع في ذلك إلى كتبهم وهي كثيرة مشهورة .

والأسماء والافعال (١) وأكثر من تكلم فيها اللغويون (١) ومنه معرفة ما وضع له الضمير وما يعود عليه (٣) والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير (٤)

---

(١) اي ومعرفة الاسماء فنحو « قل هو الله احد » احد اكمل من واحد والاسم الشريف علم على ربنا تعالي ومعرفة الافعال ومدلولاتها وكذا الظروف

(٢) فيرجع في ذلك الى كتب اهل اللغة كالمحكم لابن سيدة والتهذيب للازهري والصحاح للجوهري ومجمع البحرين للصاغاني وامثالها من كتب اللغة

(٣) اي ومن معرفة غريب القرآن معرفة ما وضع له الضمير واصل وضعه للاختصار وقال تعالى : « اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً » قام الضمير مقام خمسة وعشرين كلمة . ومنه معرفة ما يعود اليه الضمير فانه لا بد له من مرجع يعود اليه ويكون ملفوظاً به سابقاً نحو ونادى نوح ابنه او متضمناً له نحو اعدلوا هو اقرب للتقوى او دالا عليه نحو « انا انزلناه » او متأخرا نحو « أوجس في نفسه خيفة موسى » « كلا اذا بلغت التراقي » او دل عليه السياق نحو « كل من عليها فان » واذا اجتمع في الضمائر مراعات اللفظ والمعنى بدىء باللفظ ثم بالمعنى .

(٤) التأنيث الحقيقي لا تحذف تاؤه غالباً الا ان وقع فصل وغير الحقيقي الحذف احسن نحو « فمن جاءه موعظة من ربه » وكذا الاثبات نحو « واخذت الذين ظلموا الصيحة » وان وقع ضمير واشارة بين مبتدأ وخبر جاز . وكل اسماء الاجناس يجوز فيها التذكير حملا على الجنس والتأنيث حملا على الجماعة والتعريف والتنكير لكل منهما حق لا يليق بالآخر فللتنكير ارادة الوحدة كجاء رجل والنوع نحو هذا ذكر والتعظيم والتكثير وضدهما وغير ذلك . وللتعريف ال والاضمار والعلمية والاشارة والتعريض وغير ذلك .

والخطاب بالاسم والفعل (٥) واولى ما يرجع في غريبه الى تفسير ابن عباس وغيره (١) ودواوين

---

(٥) الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل على التجدد والحدوث ومعرفة ذلك من معرفة غريب القرآن وكذا السؤال والجواب والمصدر والعطف وغير ذلك .

(١) من الصحابة وغيرهم وورد عن ابن عباس واصحابه ما يستوعب اكثر غريب القرآن وتقدم ان اصح الطرق عنه طريق مجاهد ولذلك اعتمده البخاري وغيره .

(٢) لان الله تعالى قال : « انا جعلناه قرآناً عربيا » وقال بلسان عربي مبين وقد احتج الصحابة والتابعون على غريب القرآن ومشكله بشعر العرب وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه . وروي عنه من ذلك كثير وتقدم لغة قريش ثم اهل الحجاز . وليس فيه شيء من التراكيب الاعجمية وقال القرطبي : اجمعوا على انه ليس في القرآن شيء من التراكيب الاعجمية واجمعوا على ان فيه اعلاماً من الاعجمية كابراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالاعجمية فانكره بعضهم وقالوا ما وقع فيه مما يوافق الاعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات وقال : غير واحد ما كان معلوم المعنى عند غير العرب ثم استعملته العرب في ذلك المعنى كابراهيم واسماعيل ونحوهما فلا ينبغي ان يقع فيه خلاف . واما ما كان من غير الاعلام فان العرب استعملت كلمات أصلها اعجمية ثم عربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت بكلام العرب فمن قال انها عربية باعتبار التعريب الطارىء فصادق -

ويبحث عن كون الآية مكملة لما قبلها أو مستقلة (١) وما وجه مناسبتها لما قبلها وكذا السور (٢) .

— ومن قال انها اعجمية باعتبار اصلها فصادق والجمع بين القولين ان نحو ناشئة الليل ومشكاة واستبرق اصلها بغير العربية ثم عربتها العرب واستعملتها فصارت من لسانها بتعريبها واستعمالها وان كان اصلها اعجمياً .

(١) أي ويبحث المفسر عن كون الآية من القرآن مكملة للآية التي قبلها وظاهرة الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى . وكذا إذا كانت الثانية للاولى على وجه التأكيد أو التفسير ونحو ذلك أو كونها مستقلة غير ظاهرة الارتباط .

(٢) أي ويبحث عن وجه مناسبتها لما قبلها أو كانت مستقلة والمرجع في ذلك إلى معنى رابط بين الآيات عام أو خاص بأي نوع من أنواع العلاقات ومنه أن تكون معطوفة بحرف من حروف العطف المشركة في الحكم أو توجد قرائن معنوية تؤذن بالربط كالحاق النظير بالنظير أو استطراد أو انتقال من حديث إلى آخر أو غير ذلك كما في سورة ص بعد ذكر الأنبياء ذكر المتقين ثم الجنة وأهلها ثم النار وأهلها قال ابن الأثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر وقيل الأمر الكلي المفيد اما من مناسبات الآيات أن تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلق وتنظر إلى انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها . فاذا عقلته تبين لك وجه النظم —

وعن القراءات المتواترة المشهورة والآحاد (١) وكذا الشاذة فانها تفسر المشهورة وتبين معانيها (٢) وان كان لا تجوز القراءة بالشاذة اجماعا (٣)

—وقال ابن العربي ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة منتسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه . وكذا السور يبحث عن وجه مناسبتها لما قبلها ووجه اتصالها بها ووجه ما سيقت له . وقيل أول من أظهر علم المناسبة أبو بكر النيسابوري وكان يقول على الكرسي اذا قرىء عليه لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه الآية وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة . وذكر الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بالكناية في قوله انا أنزلناه في ليلة القدر الإشارة الى قوله اقرأ وقال ابن العربي هذا بديع جداً ومن المناسبة التي تتطلب الحكمة فيها ايراد الآية تشبه الآية والقصة تشبه القصة نحو ويكون الدين لله وفي أخرى ويكون الدين كله لله . وهدى للمتقين وهدى ورحمة للمحسنين . والقصص في كل موضع بلفظ غير الآخر .

(١) وهي ما صح سندها ولم تبلغ درجة المتواترة ولا المشهورة فانها تفسر معنى الآية وتبين معانيها .

(٢) وان لم يصح سندها نحو ملك بصيغة الماضي ونصب يوم .

(٣) فانها تعتبر في التفسير والإيضاح واما القراءة بها فحكى ابن عبد البر وغيره الاجماع على أنه لا تجوز القراءة بالشاذة وما ذكر موهوب الجزري من جواز القراءة بها في غير الصلاة قياساً على رواية الحديث بالمعنى فلا يلتفت اليه .

التلاوة (١)

تستحب تلاوة القرآن على أكمل الأحوال (٢) والاكثار منها (٣) .

---

(١) أي ذكر أحكام تلاوة القرآن العزيز وتحسينها وبيان ما صرف عنه الاكثر من فهم كتاب الله والخشوع عند تلاوته بتكلف المخارج ونحو ذلك وذكر احكام المصحف .

(٢) متطهراً مستقبل القبلة متحريا أفضل الأوقات كبعد الفجر لقوله إن قرآن الفجر كان مشهودا قال الشيخ قراءة القرآن بعد الفجر افضل من قراءته آخر النهار ومتهجداً آخر الليل افضل لقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطئاً وأقوم قيلا ولا بأس بالقراءة في كل حال قائما وقاعداً ومضطجعاً وراكبا وماشياً ولا في شيء من الأوقات لمعنى فيه . ولا تكره مع حدث أصغر أو نجاسة بدن أو ثوب وتكره في المواضع القذرة والأسواق التي يصيح فيها اهل الأسواق بالنداء والبيع ويكره الجهر بها مع الجنازة . وتحرم مع الجنابة لخبر لا يحجبه من القرآن شيء ليس الجنابة رواه الخمسة ولفظ الترمذي يقرئنا القرآن ما لم يكن جنبا . وقال الشيخ تحرم باتفاق الأئمة والجمهور آية فصاعدا وعند الشيخ تباح قراءته للحائض اذا خافت نسيانه . وقال بل تجب . وله قول ما وافق قرآنا لم يقصده ويمنع الكافر من قراءته وهو أولى من الجنب لقوله انما المشركون نجس ورجح البغوي وغيره جواز تعليمه أن رجي إسلامه .

(٣) أي ويستحب الإكثار من تلاوة القرآن قال تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وثبت لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم آناء الليل وآناء النهار . وأنه يأتي يوم القيمة شفيعاً ومن قرأه وهو ماهر فيه فهو مع السفرة الكرام ومن قرأه وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق وفي رواية شديد فله اجران وللترمذي من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها .

وهو أفضل من سائر الذكر [١] والترتيل أفضل من السرعة مع تبيين الحروف [٢] وأشد تأثيراً في القلب [٣] وينبغي اعطاء الحروف حقها وترتيبها [٤] وتلطيف النطق بها [٥] .

---

(١) ففي الحديث القدسي من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما اعطى السائلين وفي الخبر فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه صححه الترمذي وبعضه أفضل من بعض فما تكلم به في وصف نفسه المقدسة افضل مما تكلم به في وصف خلقه وفي الصحيح انه لم ينزل في القرآن ولا في غيره افضل من الفاتحة وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وأعظم آية فيه آية الكرسي ويجب منه ما يجب في الصلاة ويبدأ الصبي وليه به قبل العلم ويستحب حفظه اجماعاً وحفظه فرض كفاية اجماعا .

(٢) وأما السرعة مع عدم تبيين الحروف فتكره ومن الناس من اذا حدر كان أخف عليه وإذا رتل اخطأ ومنهم من لا يحسن الحدر والناس في ذلك على ما يخف عليهم فيستحب لكل انسان ملازمة ما يوافق طبعه ويخف عليه فربما تكلف ما يشق عليه فيقطعه عن القراءة والأكثار منها ولا خلاف ان الأفضل الترتيل لمن تساوى في حالته الأمران .

(٣) وأجل قدراً وأقرب الى الإجلال والتوقير بل قراءة آية بتدبر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وادعى الى حصول الايمان وذوق حلاوة القرآن . وقال تعالى ورتل القرآن ترتيلا وهكذا كانت قراءته ﷺ والسلف من بعده حتى إنه ليردد الآية الى الصباح وهذا هو أصل صلاح القلب .

(٤) حالة النطق بها ورد الحرف الى مخرجه وأصله .

(٥) على كمال الهيئة فان التجويد حلية القراءة وفي الحديث من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد يعني ابن مسعود وكان قد —

من غير اسراف ولا تعسف ولا تكلف [١] ويسن تحسين الصوت [٢] والترنم بخشوع وحضور قلب وتفكر وتفهم [٣]

—اعطي حظا عظيماً في حسن الاداء وكما أن الامة متعبدة بفهم معاني القرآن واقامة حدوده فهي متعبدة بتصحيح الفاظه واقامة حروفه .

(١) ولا افراط في مخارج الحروف ونحوها .

(٢) لقوله ﷺ زينوا القرآن بأصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وغير ذلك قال النووي والذي يتحصل من الأدلة ان حسن الصوت بالقراءة مطلوب فان لم يكن حسنا فليحسنه ما استطاع ولا يخرج بتحسينه عن حد القراءة الى التمطيط المخرج له عن حدوده . وتحسينه من غير مراعاة قوانين النغم مطلوب بلا نزاع . وقال الحافظ ما كان طبيعة وسجية كان محموداً وما كان تكلفا وتصنعاً كان مذموماً وهو الذي كرهه السلف .

(٣) أي ويسن الترنم وهو تحسين الصوت وفي الخبر ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الترنم بالقرآن وفي رواية حسن الصوت يترنم بالقرآن . ويسن ان يكون بخشوع وحضور قلب وتفكر وتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم وبه ينشرح الصدر ويستنير القلب قال تعالى ليدبروا آياته وقال افلا يتدبرون القرآن وذلك أن يشغل قلبه في معنى ما يتلوه سائلا عند آية الرحمة مستعيذاً عند آية العذاب مستغنياً بمعانيه وحكمه عن غيره من كلام الناس واذا سمع شيئاً من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن فان شهد له بالتزكية قبله وإلا رده وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه . وهمته عاكفة على مراد به من كلامه . ويستحب البكاء عند القراءة وهي صفة العارفين وشعار الصالحين وقرأ بن مسعود على النبي صلي الله عليه وسلم —

ينفذ اللفظ الى الاسماع والمعاني الى القلوب (١) قال الشيخ في زينوا القرآن باصواتكم هو التحسين والترنم بخشوع وحضور قلب (٢) لا صرف الهمة الى ما حجب به اكثر الناس من الوسوسة في خروج الحروف (٣) وترقيقها وتفخيمها وامالتها (٤)

-فاذا عيناه تذرفان . وروي فاذا قرأ تموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وطريقه في تحصيل البكاء ان يتأمل ما يقرؤه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يفكر في تقصيره فيها فان لم يحضره حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فانه من المصائب .

(١) وهو المراد منه قال تعالى ليدبروا آياته وليذكر اولوا الألباب .

(٢) اي قال شيخ الأسلام في شرحه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال زينوا القرآن باصواتكم تزيين القرآن الاصوات هو التحسين اي تزيين الصوت وجعله حسناً يقال : فلان يحسن القراءة ويتغنى بها وفي الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن . ولابن ماجه عن جابر مرفوعاً ان من احسن الناس صوتاً الذي اذا سمعته يقرأ حسبته يخشى الله. وقال النووي يستحب طلب القراءة من حسن الصوت والاصغاء اليها بالاتفاق .

(٣) اي من مواضعها وظهورها وتميزها .

(٤) الترقيق ضد التفخيم والتفخيم فتح الشخص فاه بالحرف وتحريك اوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المختلف فيها دون اسكانها والغالب على اهل الحجاز تفخيم الكلام . والامالة ان ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالالف نحو الياء .

والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط (١) وشغله بالوصل والفصل (٢) والإضجاع والإرجاع (٣) والتطريب وغير ذلك مما هو مفض الى تغيير كتاب الله (٤)

---

(١) اي ولا صرف الهمة بالنطق بالمد الطويل وهو عبارة عن زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي ولا النطق بالمد القصير وهو ترك تلك الزيادة ولا صرف الهمة بالمد المتوسط . وحرف المد الالف مطلقا والواو الساكنة والمضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها .

(٢) الذي قد جعله طوائف أصلا كبيرا في الوقف. وذكروا ان الوقف على ثلاثة أوجه تام وحسن وقبيح وان التام الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده وان الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الأبتداء بما بعده واستغرب بعضهم هذه التسمية وأما الوقف على رؤوس الآي فسنة لخبر أم سلمة أنه ﷺ كان اذا قرأ قطع آية آية

(٣) الإضجاع في الحركات كالأمالة والارجاع الإعادة والترديد .

(٤) أي وشغل القارىء باله بالتطريب وهو الترجيع والتمديد ونحو ذلك مما هو مفض الى تغيير نظم كتاب الله الذي أمرنا بتدبره ولابي داود عن جابر رضي الله عنه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الاعرابي والأعجمي فقال أقرؤا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أي يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة للرياء والمباهات والشهرة والتأكل ويذهب الخشوع . قال الذهبي القراء المجودة فيها تنطع وتحرير زائد يؤدي الى ان المجود القارىء يبقى مصروف الهمة الى مراعاة الحروف والتنطع في تجويدها بحيث يشغله ذلك عن تدبر كتاب الله ويصرفه عن الخشوع في التلاوة حتى ذكر انهم ينظرون الى حفاظ كتاب الله بعين المقت .

والتلاعب به [١] حائل للقلوب [٢] قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه [٣] ومن تأمل هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] واقراره اهل كل لسان على قراءتهم [٥] تبين له ان التنطع بالوسوسة في اخراج الحروف ليس من سنته [٦]

---

(١) أي وشغله بذلك مفض الى التلاعب بكتاب الله والتنطع والوسوسة المستكرهة .

(٢) عن مراد الرب من كتابه وقال ابن رشد الواجب ان ينزه القرآن عما يؤدي الي هيئة تنافي الخشوع ولا يقرأ الا على الوجه الذي يخشع منه القلب ويزيد في الأيمان ويشوق فيما عند الله . وقال الشيخ الثواب ورفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب. وما يحصل عند تلاوته من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسم هو افضل ذلك .

(٣) فينزه كلام الله عن ذلك وأما التغني بما تقتضيه الطبيعة وتسمح به القريحة من غير تكلف ولا تمرين فممدوح بل اذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته بفضل تزيين وتحسين حسن كما قال ابو موسى لحبرته لك تحبيرا فان من هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة. والنفوس تقبله وتستحليه .

(٤) في تلاوة كتاب الله .

(٥) مع تباين نطقهم بالأحرف .

(٦) قاله شيخ الإسلام وغيره.

وقال يكره التلحين الذي يشبه الغناء [١] واستحب بعضهم القراءة في المصحف [٢] ويستحب الختم كل اسبوع [٣] والدعاء بعدها [٤]

---

(١) وكرهها احمد وقال هي بدعة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في اشراط الساعة أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون احدهم ليس باقرئهم ولا أفضلهم الا ليغنيهم غناء وقال الشيخ الألحان التي كره العلماء قراءة القرآن بها هي التي تتضمن قصر الحرف الممدود ومد المقصور وتحريك الساكن وتسكين المتحرك ونحـو ذلك يفعلون ذلك لموافقة نغمات الأغاني المطربـة فان حصل مع ذلك تغيير نظم القرآن وجعل الحركات حروفاً فهو حرام .

(٢) لأن النظر اليه عبادة وقال النووي لم أر فيه خلافاً ولعله ما لم يكن من الحفظ احضر واخشع .

(٣) أي ويستحب ختم القرآن كل أسبوع لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمرو اقرأ القرآن كل اسبوع ولا تزد على ذلك وان قرأه في ثلاث فحسن لقوله لابن عمرو وقد قال اجد بي قوة قال اقرأه في ثلاث وللترمذي وصححه لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ولا بأس فيما دونها أحياناً وفي الأزمنة والأمكنة الفاضلة كرمضان خصوصاً الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر وكمكة واغتناماً للزمان والمكان ويتقدر بالنشاط وعدم المشقة فمن السلف من يختمه في ليلة ويكره تأخير الختم فوق أربعين بلا عذر ويحرم ان خاف نسيانه .

(٤) أي ويستحب الدعاء عند ختم القرآن وجمع اهله وعياله وكان انس اذا ختم جمع اهله وعياله ودعا . وقال الحكم بن عتبة أرسل إلي مجاهد وعنده ابن ابي امامة وقال انا أرسلنا اليك لأنا أردنا ان نختم القرآن والدعاء يستجاب عند ختم القرآن واستحبه احمد وغيره ونقله عن عثمان وغيره وللطبراني عن العرباض مرفوعاً من ختم القرآن فله دعوة مستجابة . وقال مجاهد كانوا يجتمعون عند ختم القرآن

وتحسين كتابة المصحف (١) ولا يخالف خط مصحف عثمان في
واو أو ياء أو الف أو غيرذلك (٢) ويحرم على المحدث مسه (٣)

– ويقول عنده تنزل الرحمة وكان بعض السلف يقول أدركت أهل الخير من صدر هذه الامة يستحبون الختم في الشتاء أول الليل وفي الصيف أول النهار يقولون اذا ختم أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي واذا ختم اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وينبغي أن يشرع في أخرى لما روى الترمذي أحب الأعمال الى الله الحال المرتحل .

(١) أي ويستحب تحسين كتابة المصحف الشريف وتبيينها وايضاحها وتحقيق الخط فروى ابو عبيد عن عمر رضي الله عنه أنه وجد مع رجل مصحفا قد كتب بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال عظموا كتاب الله . وكان اذا رأى مصحفاً عظيماً سر به . وكره ان يكتب في الشيء الصغير وكره علي أن تتخذ الصاحف صغارا

(٢) وقاله أحمد وغيره وسئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا . وقال الداني لا مخالف له من علماء الأمة وقال البيهقي من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً فانهم كانوا اكثر علماً وأصدق قلبا ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .

(٣) أي ويحرم على المحدث حدثاً أكبر أو أصغر مس المصحف الشريف من أصحف بالضم أي جعت فيه الصحف لقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون أي من الجنابة والحدث وقول ابن عباس وغيره إلا المطهرون يعني الملائكة لا ينفي القول الاول وكتب صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن الا طاهر وقال

وسفر به لدار حرب (١) ويجب احترامه وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم (٢) .

ابن عبد البر اشبه التواتر وقال أحمد لاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتبه له وقال الشيخ مذهب الأئمة الأربعة انه لا يمس المصحف الا طاهر وذكره الوزير اجماعا . وقال الزركشي اذا كتب بعض القرآن مفرد اعن تفسير وغيره فانه لا يجوز للمحدث مسه وان لم يسم مصحفا وسواء حصل المس بيد او غيرها من أعضائه بلا حائل ولو بصدره اتفاقا.

(١) أي ويحرم سفر بالمصحف لدار حرب لما في الصحيحين نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو لأنه عرضة الى استيلاء الكفار عليه واستهانتهم به.

(٢) أي ويجب احترام المصحف وحيث كتب كلام الله . قال النووي اجمعوا على وجوب صيانة المصحف واحترامه فلو القاه والعياذ بالله في قاذورة كفر ولكن لو خاف المحدث على المصحف من حرق او غرق او وقوع نجاسة عليه او وقوعه بيد كافر جاز اخذه مع الحدث وصرح به الدارمي وغيره بل يجب ذلك صيانة له ويحرم ان يكتب القرآن بحيث يهان ، كان يكتب ببول حيوان ونحوه حكاه الشيخ اجماعا وتجب ازالته وفي الفنون ان قصد بكتبه بنجاسة إهانته وجب قتله وكذا دوسه وتكره كتابته على الحيطان والجدران ونحوها لانه يوطأ قال عمر بن عبد العزيز لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ . ويحرم توسده واستناد اليه وجلوس عليه اجماعاً . ويكره مد رجل اليه اذا لم يقصد اهانته والا حرم وذكر بعضهم انه يكفر بذلك . ويكره استدباره وتخطيه ورميه الى الارض بلا وضع . قال الشيخ : وجعله عند القبر منهي عنه ومذهب الجمهور انه يكره تحليته بذهب او فضة وجزم الشيخ بالتحريم ككتب علم ويكره استفتاح الفأل فيه اختاره الشيخ وحكى ابن العربي تحريمه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

تصحيح اخطاء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٨	وصغة	وصفه
٦	٩	وتقشى	وتمذى
٩	٢١	كلامه	كلام
١٤	٤	عنه	عنهم
١٩	١٦	ان	انه
٢٧	١٧	عارضه	عارض
٢٩	٢٠	بها	نها
٣٩	١٣	متشابه	تشابه
٤٤	٥	في المقيمة	في القيامة
٥١	٢٠	حقتقيه	حقيقته
٥٢	١٥	التأويل	للتأويل
٨٢	١	يستدلوا	يستدلون
»	»	يتأولوا	يتأولون
٩٦	١٩	تخضيض	تحضيض